Sur le chemin d'Emmaüs

Thème d'étude 2024-2025

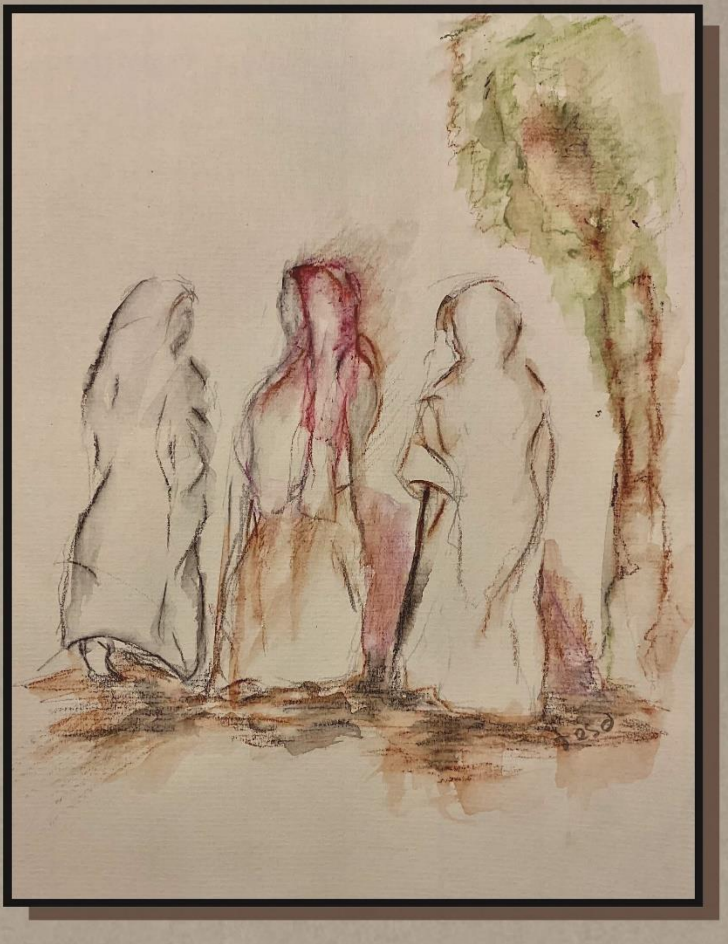

Equipes Notre-Dame

Equipe Responsable Internationale

موضوع الدرس لفرق السيدة

٢٠٢٤ –٢٠٢٥

على طريق عمَّاوس

الفرقة المسؤولة الدوليَّة، نيسان ٢٠٢٤

مقدّمة

عائلات فرق السيّدة العزيزة: حين يصبح هذا الموضوع في متناولِ أيديكم، وتباشرون العمل في مستهلّ السنة التي تبدأ في بعض البلدان في شهر أيلول، يكون اللقاء العالمي الثالث عشر لحركتنا قد انتهى، وانتقلت مسؤوليَّة الفرقة المسؤولة الدوليَّة ERI إلى الّذين سيخلفوننا، صديقينا العزيزين Mercedes Gomez Ferrer و Alberto Perez Bueno.

يُعتَبَر تحضير موضوع الدرس في مرحلة تغيير فرقتين مسؤولتين دوليتين مهمَّة معقَّدة، لأنَّه في الوقت الذي نبدأ فيه بكتابة الموضوع، تكون التوجّهات الحياتيَّة الجديدة التي أُبلِغت إلى الحركة في نهاية تجمّع تورينو غير ثابتة، والفرقة المسؤولة الدوليَّة الجديدة لم تُشَكَّل بعد. هكذا يُصبح من الضروري أن تأخذ الفرقة المسؤولة الدوليَّة المُغادِرة الموضوع على عاتقها.

أمَّا في ما يتعلَّق بإعداد هذا الموضوع، فيجب أن نعلِمكم، أنّ العمل كان مدعومًا من قِبَل مجموعة أعضاء الفرقة المسؤولة الدوليَّة، الذين شاركوا بمراجعته المُتَكَرِّرة، وقام بإدارة تنسيقه مرسيدس وألبرتو بمساعدة فريق التحرير. في هذه المناسبة، أوكِلَت كتابة هذا الموضوع إلى مسؤولي منطقة لبنان، خاصة إلى جورجينا ويوسف بطرس، اللّذين كانا في هذا التحدِّي، المحاورَين الدائمين بين فريق التحرير والفرقة المسؤولة الدوليَّة. لهذا نحن حريصون على التعبير عن امتناننا لهما من أجل العمل الذي قاما به في ظروف صعبة كهذه.

يجب أن نتوقّف لنتشارك معكم كعائلة، الصعوبات الكبيرة التي صادفناها حتى وصلنا بالموضوع إلى خواتيمه، الذي وللأسف تأثّر وأُعيقَ تقدّمه بسبب وفاة الأب جوزيف عبد الساتر، المستشار الروحي لمنطقة لبنان، هو من كان يقود فريق التحرير، واستطاع المشاركة بكتابة مقدِّمة الموضوع ومسوَّدَة الفصول الأولى منه. كذلك نحن حريصون لنُعبِّر للأب جوزيف عبد الساتر، في اتحاد النفوس، عن مشاعر المحبّة والألم التي اجتاحتنا إثر رحيله المُبكِر، ونحن واثقون أنَّه سيستمرّ بالتشفّع وبمرافقة فرق السيّدة وخاصة الفرقة المسؤولة عن منطقة لبنان، على هذا الدرب الذي ساهم في بنائه بحبّ عظيمٍ وبتفان.

كذلك بالنسبة إلى موضوع الدرس للعام ٢٠١٨-٢٠١٩ بعنوان " المصالحة هي علامة الحبّ" الذي كان صدىً لما عشناه في لقاء فاطيما العالمي، والذي كان يحمل الشعار نفسه، وضعت الفرقة المسؤولة الدوليّة تصوّرًا لموضوع الدرس للعام ٢٠٢٤- ٢٠٢٥، الذي يحمل عنوان "على طريق عمَّاوس" كامتداد وصدى لما عشناه في لقاء تورينو العالميّ. على خلفيَّة مرور تلميذيّ عمَّاوس، عشنا اختبار اللّقاء والتأمّل في المعنى العميق للإفخارستيّا، كونها مركز الحياة المسيحيَّة وقمّتها.

منذ بداية حياته العلنيَّة، اهتمَّ يسوع بإعطاء معنىً للجماعة التي قبلت تعاليمه، وإنشاء روح الشراكة مع كلّ الذين قرّروا أن يتبعوه بلا قيد أو شرط. في نص تلميذيّ عمَّاوس، يُمثل قلاوبا ورفيق دربه، إذا صحَّ القول، حياتنا نحن، أنا وزوجتي، ذوي القلب المُتَّقد، نقوم باختبار اللقاء مع قلب آخر، مفعم بالرحمة، يريد أن يذوب في قلبَي هذين التلميذين المُضطربين. نتحدَّث هنا عن قلب يسوع بذاته القائم من الموت.

يتحوّل قلب التلميذين المُتَّقد إثر اللقاء بيسوع المسيح القائم من الموت. يدلّ هذا "الجمر" في البداية على القلق، الإنشغال، الذعر، لكن كلَّما تقدمّا باللقاء مع هذا المسافر الوحيد، الذي أراد أن ينضمّ إلى التلميذين في الطريق، وإلينا أيضًا في طريقنا الخاص، ينكشف حضوره الحقيقيّ، ويتحوّل " الجمر" إلى إضطرام، إلى أمل، إلى نار داخليَّة. إنفعال يصعب ضبطه، يدفعنا إلى عدم فقدان الشراكة مع جماعة التلاميذ، بل على العكس، إلى تفعيلها وذلك بإعلان أنَّ يسوع المسيح قد غلب الموت، وأنَّ كلّ آمالنا ورغباتنا وصلت إلى ملء معناها. لأنَّه، كما قال بولس الرسول:" وإذا كان المسيح لم يقم، فتبشيرنا باطلٌ، وإيمانكم أيضًا باطلٌ." (١ قو ١٥-١٤)

إلى كلّ الّذين شاركوا في لقاء تورينو العالميّ، وإلى الّذين شاركونا بصلواتهم من منازلهم، يساعدنا هذا الموضوع أن نعيش خبرة اللقاء التي تُعطي معنى لإيماننا، بطريقة مُجَسَّدة، دون الهروب من ألم القلوب المجروحة، من الواقع المؤلم، حتى في وسط الأفراح التي ترافق أيضًا حياتنا، والتي تلتئم باكتسابنا قراءة مختلفة للأحداث، شرط أن نرتبط بالحضور المقدَّس للقائم من الموت.

في نهاية الكتاب، وبفضل "عون" وجهد مسؤولي المناطق، الذين إضطروا إلى تأجيل النشر النهائي لموضوع الدرس هذا إلى ما بعد اللقاء، أردنا أن نضمّنه نصوص من أجمل وأعمق التأمّلات اليوميَّة التي قامت بها البروفسور مارينا ماركوليني في بداية كلّ يوم من لقاء تورينو الدوليّ. سوف تكون، دون أدنى شك، مُلحَقًا ثمينًا للموضوع وهديَّة، لإيقاظ وتغذية النار الداخليَّة التي أضرمها اختبار اللقاء والمعرفة.

انطلاقًا من شعار ورسالة لقاء تورينو، نتمنى أن تكونوا في شركة أنتم الأزواج، في فرقتكم وفي كلّ الحركة، لتتفاعل قراءة هذا الموضوع في داخلكم، أن تتقد قلوبكم بالحبّ نفسه لِمن هو التعبير النهائيّ عن الحبّ، ربّنا يسوع المسيح.

نطلب من أمّنا السماويَّة، التي هي قدوة ومرشد لنا، أن تقرِّبنا من ابنها، ترافقنا وتنيرنا في هذه المرحلة الجديدة من الطريق الذي سنجتازه خلال هذا العام ٢٠٢٤- ٢٠٢٥.

إختكم وأخوكم بالمسيح،

كلاريتا وإدغاردو بينال

المسؤولان الدوليَّان ٢٠١٨- ٢٠٢٤

مقدِّمة

أعزّائي أعضاء فرق السيّدة

أدعوكم اليوم، بفرحٍ عميق، لنستكشف معًا بوجه خاص الموضوع المُلهِم، عن تلميذيّ عمَّاوس. يقدِّم لنا هذا النصّ الإنجيليّ من العهد الجديد (لوقا ٢٤/ ١٣- ٣٥) بُعدًا خصبًا حول هذا اللقاء المحوِّل مع المسيح القائم من الموت، الذي يقلب حياتنا رأسًا على عقب، ومنبعًا لا يُقدَّر بثمن للتفكير والتعليم، يتردَّد صداهما بقوّة على التطلّعات الروحيّة والزوجيَّة التي تُحيي مسيرتنا في قلب فرق السيّدة.

في سياق تفكيرنا حول هذا الموضوع، نحن مدعوون لنتأمَّل في معنى هذا اللقاء على طريق عمَّاوس ونستكشف التوازي بين رحلة تلميذيّ عمَّاوس ومسيرتنا الخاصة في فرق السيّدة.

كيف عرَف تلميذا عمَّاوس المسيح القائم من الموت؟ هل من خلال المشاركة بكلمة الله وكسر الخبز ؟ كيف يمكننا على غرار هذين التلميذين، فتح قلوبنا على حضور المسيح في حياتنا وفي علاقتنا الزوجيَّة بنوعٍ خاص؟ كيف يمكننا أن نميّز حضوره في مشاركاتنا الروحيّة، في صلواتنا وفي أوقات الشراكة في قلب فرقنا وبيننا نحن الزوجين؟ كيف يمكننا أن نستسلم لنور الإيمان ليقودنا، حتى عندما تهدّدنا الظلمات ويطوّقنا القلق ويخنقنا؟

يدعونا هذا اللقاء بين المسيح والتلميذين إلى التفكير بالطريقة التي نُميِّز بها حضور الله في حياتنا وفي علاقتنا الزوجيَّة.

دعونا نغوص معًا في أعماق هذا النص الكتابيّ ونستوحي من الطريقة التي اختبر فيها تلميذا عمَّاوس اللقاء المُحوِّل مع المسيح، رفيق مسيرتنا الحقيقيّ على دروب الحياة.

تلميذا عمَّاوس، المتأثرين دون شك، بحدث صلب المسيح، والغارقين في القلق، إنطلقا في رحلة، ستشكِّل موضوعًا لنصّ من أكثر النصوص البنّاءة في الإنجيل، يرافقهما دون علمهما، المسيح القائم من الموت هو بذاته. ترمز هذه الرحلة إلى مسيرتنا الروحيَّة الشخصيَّة المزروعة في أغلب الأحيان بالتردّد والشكوك والتساؤلات. بالرغم من أنَّ قصتهما تعود إلى العصور القديمة، لكنّ صداها يلمس حياتنا وعلاقتنا الزوجيّة بشكل واقعيّ ومذهل، إلاّ أنّ رحلتهما المطبوعة ببحث عميق عن الإدراك، والمزروعة بتساؤلات ومخاوف، تصوِّر لنا إستعارة مؤثِّرة عن مسيرتنا الروحيَّة الخاصة.

في قلب فرق السيّدة، نحن رفاق درب، حجَّاج على درب الإيمان والحبّ، نسعى إلى تمييز حضور يسوع القائم من الموت في حياتنا وفي علاقاتنا.

يعلِّمنا تلميذا عمَّاوس أنَّه حتى في الأوقات التي قد نشعر فيها أننا هالكين أو مُحبطين، يبقى فيها حضور المسيح القائم من الموت ثابتًا ويغيِّر حياتنا.

في قلب مسيرتنا في فرق السيّدة، تكمن الرغبة بتقوية وثاقنا مع المسيح ومع شريك حياتنا، بالسير معًا نحو فهم أعمق لإيماننا، وبعيش شراكة أعظم مع المسيح، وهذا ما يوطِّد الرسالة المقدَّسة خاصّتنا.

يُلهمنا هذا التأمّل بتلميذيّ عمَّاوس،استقبال المسيح القائم من الموت، في حياتنا اليوميَّة، ومشاركة أنواره مع شريك حياتنا في قلب فرقتنا. كما يُعلِّمنا المضيّ قُدمًا بثقة على الدرب التي رسمها المسيح القائم من الموت، مُرشدنا ورفيقنا الأمين. فليرافقنا المسيح القائم من الموت في هذه الرحلة الروحيّة، وليِنِر دربنا وليوطِّد وثاقنا الأخويّ في قلب فرق السيّدة حتى، من خلال فهم أفضل للدور الأساسيّ الذي يقوم به الإيمان في حياتنا الزوجيَّة والعائليَّة، نجعل من لقاءاتنا، مشاركاتنا وصلواتنا، أوقاتًا عميقة تغيّر حياتنا، توقظ قلوبنا، تجدِّد التزامنا تجاه القيم التي تحيي فرق السيّدة وتعزِّز أساسات عائلاتنا.

هل يمكننا على مثال تلميذيّ عمَّاوس، التائهين على دروب الحياة المحفوفة بخيبات الأمل، بالشكوك وبأوقات من الإرتباك، أن نكون شهودًا لهذا اللقاء الخارق الذي يحوِّل يأسنا إلى تجربة تُدخلنا بحميمية عميقة مع المسيح القائم من الموت، وتُشعرنا بحرارة حضوره في مسيرتنا المشتركة؟

أخيرًا نصلّي للربّ، ليقود انتماءنا إلى عائلة فرق السيّدة، مُقتدين بتلميذيّ عمَّاوس، خاصة هذه السنة، إلى الهدف الرئيسيّ والنهائي لمسيرتنا معًا، ويؤدّي إلى تحوّل جماعيّ لنصبح "كنيسة منطلقة"، كنيسة تضع مكرَّسين وعلمانيين في الواجهة، في صميم العمل، وتلبّي نداء البابا فرنسيس إلى كلّ المسيحيين، للإنطلاق نحو دافع إرسالي جديد لتحديد مسارات وجوديَّة جديدة بهدف التبشير.

الأب جوزيف عبد الساتر

الأهداف

الفصل الأوّل (لوقا ٢٤، ١٣-١٤)

العنوان : قلوب منكسرة

الهدف : في هذا الفصل الأوّل سوف نعمّق معنى الخيبة في مسيرتنا الإيمانيَّة كمسيحيين، نستكشف السبيل نحو الرجاء، وندرك أهميّة السير معًا بهدف مساندة أحدنا الآخر.

الفصل الثاني (لوقا ٢٤، ١٥-١٦)

العنوان : في قلب التاريخ

الهدف : في هذا الفصل سنكتشف إلهًا لا يسكن السماوات، بل إلهًا تجسَّد، يسلك طرقنا، يدخل تاريخنا دون أن يفرض ذاته علينا، بلطف ليكشف لنا وجهه المُحبّ، وجه الآب.

الفصل الثالث (لوقا ٢٤، ١٧-١٩)

العنوان : قلوب مَدعُوَّة

الهدف : في هذا الفصل نكتشف حنان إله ينحني ليسألنا وهو شغوف ليصغي إلينا. إنَّ تجاربنا بالهزيمة، بالألم...غالية على قلبه، لدرجة أنَّه مستعدّ ليخلي ذاته ليستقبلها، يستوعبها ويحوّلها إلى خبرات حياة.

الفصل الرابع (لوقا ٢٤، ١٩-٢٤)

العنوان : قلوب مُضطربة / مُترَدِّدة

الهدف: في هذا الفصل سوف نكشف عن الحيرة والإرتباك على طريق إيماننا، في الصلاة، في علاقتنا مع الله ونكتشف مسيرة إنفتاح على حضوره الخفيّ في قلب حياتنا.

الفصل الخامس (لوقا ٢٤، ٢٥-٢٧)

العنوان : قلوب منفتحة على كلمة الله

الهدف : نكتشف في هذا الفصل إلهًا يكشف عن ذاته من خلال الكتب المقدَّسة. يشجِّع أحدنا الآخر على الالتزام بسماع كلمة الله التي تساعدنا على التعمّق بمعرفة حقيقته وجوهره ألا وهو الحب.

الفصل السادس (لوقا ٢٤، ٢٨-٢٩)

العنوان : قلوب مُتَّقدة

الهدف: نسير معًا في هذا الفصل لنلتقي إلهًا ينتظر دعوتنا ليدخل ويبقى معنا، عند المساء، في حميميَّة لا مثيل لها.

الفصل السابع (لوقا ٢٤، ٣٠-٣١)

العنوان : استقبال الخبز المكسور

الهدف : في هذا الفصل نكتشف أنَّ ذروة مسيرتنا الروحيَّة الفرديَّة والزوجيَّة تكمن في لقائنا مع الله والإتّحاد به في سرّ الإفخارستيّا.

الفصل الثامن (لوقا ٢٤، ٣٢-٣٥)

العنوان : في قلب فِرَقنا، في قلب الكنيسة

الهدف : في هذا الفصل، نكتشف فرح السير معًا في فرقنا، كتلاميذ للربّ ونرى أنفسنا نتحوَّل لنصبح مُرسلين للحبّ في كنيستنا.

كلمة الله

لوقا ٢٤، ١٣-٣٥

" وإذا باثنينِ منهم كانا ذاهبين، في ذلك اليوم نفسه، (أي اليوم الأوَّل من الأسبوع)، إلى قريةٍ اسمها عِمَّاوس، تبعد نحو ستين غلوةً من أورشليم. وكانا يتحدَّثان بجميع هذه الأمور التي جرت. وبينما هما يتحدَّثان ويتجادلان، إذا يسوع نفسه دنا منهما وأخذ يسير معهما، على أنَّ أعينهما حُجِبَت عن معرفته. فقال لهما: " ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وأنتما سائران؟" فوقفا مُكتئبين. وأجابه أحدهما واسمه قلاوبا: " أأنت وحدكَ نازلٌ في أورشليم ولا تعلمُ الأمورَ التي جرت فيها هذه الأيام؟ " فقال لهما: " ما هي؟ " قالا له:" ما يختص بيسوع الناصريّ، وكان نبيًّا مُقتدرًا على العمل والقولِ عندَ اللهِ والشعبِ كلّه، كيف أسلَمَهُ عُظماءُ كهنتنا ورؤساؤنا ليُحكَم عليه بالموت، وكيف صلبوه. وكنّا نحن نرجو أنّه هو الذي سيفتدي إسرائيل. ومع ذلك كلّه فهذا هو اليومُ الثالثُ مُذ جرت تلك الأمور. غيرَ أنَّ نسوة منّا قد حيَّرننا، فإنَهُنَّ بكَّرنَ إلى القبرِ فلم يجدنَ جثمانهُ فرجعنَ وقُلنَ إنَهنَّ أبصرنَ في رؤيةٍ ملائكة قالوا إنّه حيّ. فذهب بعضُ أصحابِنا إلى القبر، فوجدوا الحالَ على ما قالتِ النسوة. أمَّا هو فلم يروه ". فقال لهما: " يا قليلي الفهم وبطيئي القلبِ عن الإيمان بكلِّ ما تكلَّم به الأنبياء. أما كان يجب على المسيح أن يُعاني تلكَ الآلام فيدخلَ في مجدِهِ؟ " فبدأ من موسى وجميع الأنبياء يُفسِّر لهما في جميع الكتب ما يختصُّ به، ولمَّا قَرُبوا من القريةِ التي يقصدانِها، تظاهرَ أنَّه ماضٍ إلى مكانٍ أبعد. فألحَّا عليه وقالا: " أُمكث معنا، فقد حان المساءُ ومالَ النهار ". فدخلَ ليمكثَ معهما. ولمَّا جلس معهما للطعام، أخذَ الخبزَ وباركَ ثمَّ كسرهُ وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه فغاب عنهما. فقال أحدهما للاخر : " أما كان قلبُنا مُتّقدًا في صدرنا، حين كان يُحدِّثنا في الطريق ويشرحُ لنا الكتب ؟ " وقاما في تلكَ

الساعةِ نفسها ورَجَعا إلى أورشليم، فوجدا الأحدَ عشرَ والذين معهم مُجتمعين، وكانوا يقولون إنَّ الربَّ قام حقًّا وتراءَى لسمعان. فرويا ما حدثَ في الطريق، وكيف عرفاه عند كسر الخبز.

الفصل الأوَّل

"قلوب منكسرة"

في هذا الفصل الأوَّل سوف نعمِّق معنى الخيبة في مسيرتنا الإيمانيَّة كمسيحيين، نستكشف السبيل نحو الرجاء، وندرك أهميّة السير كزوجين معًا بهدف مساندة أحدنا الآخر.

" وإذا باثنينِ منهم كانا ذاهبين، في ذلك اليوم نفسه، (أي اليوم الأوَّل من الأسبوع)، إلى قريةٍ اسمها عِمَّاوس، تبعد نحو ستين غلوةً من أورشليم. وكانا يتحدَّثان بجميع هذه الأمور التي جرت ".

نحن أمام تلميذين يسيران معًا على الطريق نفسه. نعرف أنَّ أحدهما يُدعى قلاوبا لكنَّ الآخرَ لا إسم له. إذًا يمكن أن يمثّل كلّ واحد منّا.

نحن مدعوون لنسلك الطريق ذاته مع هذين التلميذين لكي نتذوَّق كلّ الغنى الروحي في هاتين الآيتين من نص لوقا

بدايةً لنتذكّر باختصار إطار هذا المقطع من الإنجيل:

في الفصل السابق، محاكمة يسوع، إدانته من قِبَل بيلاطس، بعدها الآلام، الموت والوضع في القبر. يختم الفصل ٢٤ إنجيل لوقا ويشكِّلُ إفتتاحية لكتاب أعمال الرسل. يبدأ هذا الفصل ذاته بذكر أنّه " عند فجر يوم الأحد، جئنَ إلى القبر، وهنَّ يحملنَّ الطيب الذي أعدَدنه. فوجدنَ الحجرَ قد دُحرِجَ عن القبر. فدخلنَ فلم يجدنَ جثمانَ الربِّ يسوع. "

نلاحظ فيه كلّ ما يشير إلى الموت، نهاية قصّة. لا أمل بعد الآن. بعدها يأتي لقاء النسوة (مريم المجدليَّة، حنّة ومريم أمّ يعقوب) مع ملاكين. بحسب التقليد اليهوديّ، كان عليهنَّ الذهاب إلى القبر للاهتمام بجسدٍ ميتٍ رأينه بأمِّ أعينهنَّ على الصليب. ما كنَّ يتوقّعنَ هذا السؤال: "لماذا تبحثنَ عن الحيّ بين الأموت ؟، إنَّه ليس ههنا، بل قام. "

نقلنَ إلى الرسل ما رأينه وما سمعنه (أو بالأحرى ما لم تَرينه). لكنّ كلامهنَّ بدا أشبه بالهذيان، بالوهم. لم يصدقهنَّ أحد. ذهب بطرس بنفسه إلى القبر، فلم يرَ إلاّ اللفائف والقبر فارغ، فانصرف إلى بيته مُتعجّبًا ممَّا جرى.

إذًا نقترح على أنفسنا الآن التوقّف، تخفيف إيقاع حركتنا اليوميَّة قليلًا، وأخذ الوقت الكافي لمرافقة هذين التلميذين. إنّ طريق عمّاوس هو أولاً طريق جغرافيّ، مع أنّه يصعب اليوم تحديد مكان قرية عمَّاوس القديمة. لكنّه أيضًا وبشكل خاص طريق روحيّ لكلّ واحدٍ منّا. منذ قيامة ربّنا، يمكن لكلّ دروب حياتنا في الواقع أن تصبح

طريق عمَّاوس، حيث يريد القائم من الموت أن يلتقي بنا. فلنمشِ إلى جانب تلميذيّ عمَّاوس، لنرافق هذين الحاجّين على طريقهما الذي يمكنه أن يصبح طريقنا في الإيمان. لنحاول أن نكون حاضرين في قلب الحدث، وكأنَّ المكان هو خاصّتنا. لنسلك الطريق من أورشليم إلى عمَّاوس. لننضمّ إلى التلميذين في أفكارهما وحتى في انفعالاتهما.

ماذا يمكن أن يعني لنا هذا اليوم الأوَّل من الأسبوع المذكور في النص؟ في الواقع، المقصود هنا، اليوم الثامن، يوم القيامة. نحن في زمن جديد منفصلين كليّا عن كلّ ما سبق. إنطلاقة جديدة، قصة جديدة تبدأ، حياة تتجدَّد.

من هما هذان التلميذان؟ ليسا وافدين جُدد إلى المنطقة. إنّهما يتبعان يسوع منذ زمن بعيد. لأشهر عديدة، شاهدا عجائبه، سمعا كلماته حتى آمنا به. كانا مع التلاميذ الأحد عشر حين أتت النسوة وأخبرتهنَّ عن اختبارهنَّ، فقد سمعاهنَّ. لكن بالنسبة إليهما، كلّ شيء انتهى الآن. فعادا إلى حياتهما السابقة، حزينين، مُحبطيَن ومستسلمَين، فتركا جماعة الرسل. كان صعبًا عليهما أن يفهما، يُصدِّقا، ويأملا. كان أسهل عليهما أن يرجعا إلى الوراء ويبتعدا قدر المستطاع عن أورشليم. حتى إنَّهما كانا مستعدّين ليسيرا في اتجاه معاكس لرغباتهما الأعمق.

ماذا تمثِّل أورشليم بالنسبة إليهما؟ إنَّها مدينة حضور الله، مكان الهيكل الذي يحوي " قدس الأقداس"، لكنّ أورشليم هي أيضًا مركز السلطة والنجاح. أيّ إله كانا يتوقَّعان في هذه المدينة؟ ما كانت إنتظاراتهما، وأحلامهما؟ إلهٌ ظافر؟ إلهٌ مسيطر يفرض سلطته. إلهٌ مُحَرِّر أتى يُحرِّر شعبه من حكم الرومان ويعيد له حريته؟ لم يتوقَّعا ميتة مُخزية بهذا الشكل. يا لها من خيبة أمل! يا لها من هزيمة! يا له من عار!

وماذا عنَّا نحن اليوم؟

على صورة هذين التلميذين، نبتعد أحيانًا عن المسيح. حتى لو كنّا نعتبر أنفسنا مؤمنين، نقطع الجسور بالإيمان والرجاء. بالنسبة إلينا، يبقى يسوع في القبر. ونحن نغرق في الفتور. تقوانا، حماسنا، شغفنا، كلّها تصبح ذكرى من الماضي.

لنعاين مفهومنا الشخصي لله، وللمفاجأة، يمكننا أن نكتشف أننا رسمنا صورًا خاطئة عن هذا الإله:

– يعتمد البعض على إلهٍ كلّيِ القدرة. قدرة كهذه تحوِّله إلى إله تدخُّليّ، يقضي وقته في تقصير الأحداث التي تنسج تاريخنا، ليجعل حياتنا أسهل وأكثر فرحًا. إله يجنِّبنا كل أنواع الألم.

– يثور البعض الآخر إزاء إله مُتَفَرِّج، يتخلّى عن البشر وعن مصيرهم، بطيء في الإستجابة لنداءات شعبه من أجل إيقاف قوّة الشر. إله صامت حيال الألم وحتى غائب.

– قد يبحث البعض عن إلهٍ ساحر يلبِّي رغبات أبنائه لأنّه إله طيّب، حنون ومحبّ.

– أو حتى إنَّ البعض يخاف صورة إله يلاحقنا حتى يحكم على أعمالنا أو أفكارنا وبالتالي قادر على أن يُنزِلَ بنا عقوبات.

كل تلك الصور الخاطئة والكثير غيرها، موجودة أساسًا في ذهننا، وهي ثمرة التاريخ الشخصيّ لكلّ واحد منًّا. يمكنها أن تمنعنا من أن نلتقي بالربّ ونسأله النعمة ليكشف لنا عن وجهه الحقيقيّ. لا يمكن لإلهنا أن يكشف لنا عن وجهه وطريقة عمله في حياتنا إلا في حميميَّة لقاء شخصيّ . لو لم يأتِ المسيح بنفسه للقاء التلميذين، لَكانا من دون شك أكملا طريقهما واختفيا في المجهول. لكنّ المسيح، الذي يتّقد قلبه بالحبّ، اقترب منهما، وهذا اللقاء الشخصيّ معه غيَّر حياتهما. كتب اللاهوتي اليسوعيّ الكبير، فرانسوا فاريون: " ليس الله الكليّ القدرة، بل حبّه هو كذلك. نكتشف حبّه من خلال كلّ الجروحات التي نسبِّبها له وهو لا يكفّ عن مسامحتنا".

ماذا عن حياتنا الزوجيّة؟

في وقت معيَّن من حياتنا، بدأنا حياتنا الزوجيَّة بتصوُّر مسبق لدينا، عمّا يمكن أن تكون حياتنا معًا. كان لدينا انتظارات، طموحات، أحلام... فإذا بنا نتوقَّف أحيانًا في وقت معيَّن، لنواجه أحداث غير مُنتظرَة، في أغلب الأحيان لا نريدها، أو حتى تجارب فشل، صعوبات علائقيَّة في علاقتنا مع أولادنا، خسارات، حِداد، خيبات أمل حتى في العلاقة. لم يعد الآخر يلبِّي طموحاتي، هذا الحدث وهذا الواقع، بعيدان كلَّ البعد عمَّا أريده. يمكن لهذا الأمر أن يفاجئنا في أيَّة لحظة من حياتنا المشتركة. نصادف أوقات سقوط فظيع، أوقاتًا أليمة. أحدنا أو أحيانًا نحن الإثنين معًا، نجد نفسينا ضعيفين، سريعي العطب، محبطين، يائسين. لم يعد يلوح الأفق أمامنا. نرغب بالتخلي عن كلّ شيء، بالإستسلام، بالإعتراف بالإخفاق والغرق في موت حبّ كان يجمعنا ذات يوم. هذا وقت الأزمات والهزائم. يمكننا حتى أحيانًا أن نتراشق بالحجارة " هذه غلطته أو غلطتها"، " هذه ليست الحياة التي أردتها "...

ما أكثر التحديات التي يمكنها أن تلحق الأذى بهويّتنا كثنائيّ (الصورة التي رسمتها عن الآخر وعن حياتنا نحن الإثنين معًا، التي عليها أن تلبِّي حاجاتي الخاصة، صورة الشريك البطل، الشريك الكامل، صورة الحياة المثاليَّة...)

يمكن لبعض التجارب أن تهزّنا على الصعيد الروحي. فتُعيد النظر بتصوّرنا عن الله وعن رسالتنا. لم نعد أكيدين من دعوتنا، من النداء المُوَجَّه إلينا حين تكرَّسنا في سرّ الزواج.

في "أورشليم" خاصتنا، أثناء مواقف عدَّة في حياتنا، نعيش تجربة محاولة صلب المسيح من جديد، إلغاؤه من حياتنا، من مدننا، من قراراتنا المهمَّة. لا نفكِّر فيه إلاّ أثناء الكوارث الكبرى أو لنُغني أعيادنا العائليَّة. هذه هي المأساة التي انكشفت على طريق عمَّاوس. وعن هذا الأمر بالتحديد تحدّث تلميذا عمَّاوس، حين كانا هاربين من أورشليم، حيث كانا يعتقدان، قبل ثمانية أيام، بأنهما سيشهدا لآمالهما تتحقق كلَّها.

إذا كان لوقا يُخبر عن هذا اللقاء وهذه المحادثة على الطريق مع كلّ هذه التفاصيل، فإنّه ربّما ليسمح لنا بإدراك يأس التلميذين هذا. وغالبًا ما يجعلنا هذا العمى الذي نعيشه نتذوَّق مرارة الفشل والكآبة. يتكوَّن لدينا انطباع بأنَّه حتى لو لم نفقد إيماننا، لم يعُد ينفع بالشيء الكثير.

لكن لنلاحظ أمرًا وهو تفصيل صغير: بالرغم من هزيمتهما، خيبة أملهما والمسافة الطويلة التي اجتازاها سيرًا على الأقدام، بقي التلميذان معًا. استمرّا بالسير، بالرغم من الهزيمة والتعب واليأس، لكن بقيا معًا. في حياتنا الزوجيّة، في عائلتنا، هل نقبل السير معًا في كلّ ظروف حياتنا؟ إذا عانى أحدنا من المحنة هل يمكن للآخر أن يكون له السند القوي؟ هل يمكن أن يسير بحسب إيقاعه، يصبر، يرافق، يترجَّى ...؟

ماذا عن العالم حيث نعيش؟

عالم يغرق أكثر فأكثر في شتى أنواع الظلمات: التغيّر المناخيّ والكوارث الطبيعيَّة، العنف والحروب، اللامبالاة واللاعدالة، إنتهاكات السلطة والإستغلال... الألم والموت، الأسلحة والدمار... وتطول اللائحة إلى ما لا نهاية ولا تُوَلِّد إلاَّ التعاسة، الخوف، الإحباط وخيبة الأمل. أين نحن من هذه الوقائع المؤلمة؟ هل نظهر اللامبالاة أو التعاطف؟ الحضور السلبيّ أو المشاركة؟ إزاء الشِدَّة، نحن مدعوون إلى التدخّل. لنتأمَّل الأمثلة عن وجوه بشريَّة آمنت بقوَّة الحبّ، ليس الحبّ الذي يأتي من جهودنا الشخصيَّة، بل الحبّ الذي نستمدُّه من منبع كلِّ حبّ. (القديس فانسان دو بول، الأم تيريزا، الأخت إيمانويل، الأب بيدرو في أكواخ مدغشقر، راول فولرو...) وغيرهم كثيرين مجهولين، يعملون

بصمت على دروب إنسانيتنا. حين ترتقي الروح تجعل العالم يرتقي معها. كلّ بادرة نقوم بها بحبّ وحنان تساهم في ولادة خليقة جديدة. هذا هو رجاؤنا. نحن مرتبطون جميعًا، أحدنا بالآخر. لندع صورة نقاط الماء، التي تشكِّل مُجتمعةً المحيط أن تحاكينا.

"بصيص رجاء" مقطع من عِظة للبابا فرنسيس (المصدر: دار الصحافة الفاتيكانيّة، ٢٨ تموز ٢٠٢٢)

" مسيرة تلميذيّ عمَّاوس، في ختام إنجيل القديس لوقا، هي صورة لمسيرتنا الشخصيَّة ولمسيرة الكنيسة. في طريق الحياة وحياة الإيمان، بينما نواصل الأحلام والمشاريع والتوقّعات والآمال التي تسكن في قلوبنا، نصطدم أيضًا بهشاشتنا وضعفنا، ونختبر الهزائم وخيبات الأمل، وأحيانًا نبقى أسرى الإحساس بالفشل الذي يشلّنا. يقول لنا الإنجيل، في تلك اللحظات بالذات، أنَّنا لسنا وحدنا : الربّ يسوع يأتي للقائنا، ويقف إلى جانبنا ويسير على طريقنا بهدوء عابر السبيل اللطيف، يريد أن يفتح عيوننا وأن يضرم قلوبنا من جديد. وعندما يترك الفشل فينا مجالاً للقاء مع الربّ يسوع، تولد الحياة من جديد بالأمل، ويمكننا أن نتصالح بعضنا مع بعض: مع أنفسنا، ومع إخوتنا ومع الله.

لنتبع إذًا خط هذه المسيرة التي يمكننا أن نضع لها عنوان: من الفشل إلى الأمل...

هذه الخبرة لها صلة أيضًا بحياتنا ومسيرتنا الروحيَّة نفسها، في كلِّ مرَّة نضطر فيها إلى تغيير توقعاتنا والتعامل مع التباسات الواقع، وغموض الحياة، ومع ضعفنا. يحدث لنا ذلك في كلّ مرّة تصطدمُ فيها مُثُلنا العليا بخيبات الحياة، ولا نتمِّم مقاصدنا بسبب ضعفنا. عندما نخطِّط لمشاريع صالحة ولا قوَّة لنا على تنفيذها (راجع رومة ٧، ١٨)، وفي مسؤوليّاتنا أو في علاقاتنا مع الآخرين، عندما نشعر عاجلاً أم آجلاً ببعض الهزيمة، أو بالخطأ أو الفشل أو السقوط، وعندما نرى انهيار ما كنّا نؤمن به أو كنَّا قد التزَمنا به، وعندما نشعر بأنَّنا نرزح تحت عبء خطايانا والشعور بالذنب...

هنا، مع ذلك، يجب أن نبقى متنبِّهين من تجربة الهرب، الحاضرة في تلميذيّ الإنجيل: الهرب، تجربة الرجوع إلى الوراء، والهرب من المكان الذي وقعت فيه الأحداث. نحاول انتزاعها من عقولنا، ونبحث عن "مكان هادىء" مثل عمَّاوس حتى ننساها. هذا أسوأ شيء ممكن: الهرب أمام فشل الحياة، حتى لا نواجه. إنَّها تجربة العدوّ التي تهدِّد مسيرتنا الروحيَّة ومسيرة الكنيسة: يريدنا هذا العدوّ أن نصدِّق أنّ هذا الفشل أصبح الآن نهائيًا، أن نرزح تحت وطأة المرارة والحزن، وأن يقنعنا أنَّه لا يوجد شيء آخر نفعله. لذلك ليس من الضروريّ أن نبحث عن سبيل لنبدأ من جديد.

لكنَّ الإنجيل يبيِّن لنا، على عكس ذلك، أنَّه في مواقف خيبات الأمل والألم على وجه التحديد عندما نختبر مذهولين عنف الشرّ، والخجل أمام الذنب، وعندما يجفّ نهر حياتنا بسبب الخطيئة والفشل، وعندما يتمّ تجريدنا من كلِّ شيء ويبدو أنَّه لم يتبقَّ لنا شيء، الربّ يسوع، بالتحديد هناك، يأتي إلينا للقائنا وليسير معنا..."

رسالة رجاء من رسالة الأب كافاريل إلى كلّ الأسَر المفكَّكة

إلى الأُسَر المُفَكَّكة، لديَّ أوّلاً ما أقوله لكم: لا تستسلموا أبدًا للفراق. لا يجب أن تنسوا في الواقع، أنّ إبرام زواج، يعني الإلتزام بعدم التوقف عن الرغبة والسعي إلى الإتحاد الكامل. وهذا الإلتزام قام به اثنان، لكن فيما بعد، لا يمكن لأحدهما أن يتحرَّر منه لأنَّ الآخر يهمله أو ينبذه. الخطأ الأكبر الذي يرتكبه عدد كبير من المسيحيين المتزوِّجين هو التوقّف عن العمل من أجل الإتِّحاد، والقبول بالإنفصال. إنَّ أولئك الذين يعملون من أجل هذا الإتحاد دون أن يؤمنوا به، ودون أن يرغبوا به حقاً، ليسوا أقلَّ فشلاً في التزاماتهم.

إنَّ الإنسجام الزوجيّ ليس موضوعًا للرفاهية أو الراحة، ولهذا لا يحق للزوجين التخلي عنه. فهو ضروري لهما وللكثيرين غيرهم. إنَّ خلافهما سيؤذي هؤلاء الآخرين بقدر ما يؤذيهما. فبدلاً من أن يكون الوسيلة العظيمة لتحسين حياة الرجال والنساء، تصبح الأسرة التي يحلّ فيها الإنقسام أرضًا خصبة لجميع الخطايا المميتة وغالبًا ما يؤدِّي إلى الإفلاس الأخلاقي لأحد الزوجين أو لكليهما. وبينما يشكّل مناخ الحبّ للأولاد الشرط الأساسيّ لنموِّهم الجسديّ والنفسي، فإنَّ انفصال الوالدين يمزِّق شيئًا ما في كيانهم الأكثر حميميّ. والمجتمع نفسه يُعاني من فشل هذه الأسرة، لأنَّها لم تعُد خليَّة حيَّة توزِّع الحرارة والنور، بل ورمًا يتطوَّر على حساب الجسم الإجتماعيّ. دعونا نضيف أخيرًا أنَّ الأسرة المفكَّكة، بدلاً من أن تكون تسبيحًا لمجد الحبّ الإلهي، تكون نغمة زائفة في نظام الخليقة.

شهادة حياة

نحن بيرتا هورتا وإدغار لورا، أعضاء في فرق السيّدة في Pemba. و(بيمبا) هي عاصمة ولاية Cabo Delgado، ولاية في أقصى شمال الموزمبيك. سوف نشهد عمَّا عشناه خلال الهجمات الإرهابيَّة على كابو دلغادو، في حيّ Mocimboa da Praia . في ٢٣ آذار ٢٠٢٠، عند الساعة الرابعة فجرًا، بدأ الهجوم الثاني. كان هذه المرَّة، مُرَوِّعَة وأكثر وحشيَّة من غيرها: لقد ذُبِحَ عدد لا يُحصى من الأشخاص، وكثيرين غيرهم فقدوا حياتهم خلال هذه الهجمات الجديدة. عدد كبير منهم كانوا من أصدقائنا. عشنا هذه المواجهات بالخوف لا نعرف إلى أين نتوجَّه، أو ماذا نفعل.

كان الخوف يسيطر علينا باستمرار، كنا مذعورين ونخشى أن تُحرَق بيوتنا. كنا نخاف جديًا من أن نفقد حياتنا. وسط كلّ تلك المذابح، ولكي نحمي أنفسنا، كنا مُجبَرين على ترك منازلنا والإختباء بين النباتات، في الأدغال أو الأحراش التي تحيط بمنازلنا. كان الحيّ الذي نقطن فيه يقع عند مدخل المدينة، وكانت تحيط به الكثير من النباتات والغابات، كان عيد الفطر في ٣٠ تموز. بدأنا نلاحظ أنّ عددًا كبيرًا من الناس يركضون، يهربون من كلّ الجهات ومن أحياء أخرى، كذلك هرب معنا بعض الجيران لينقذوا حياتهم. رجال، نساء، أطفال، مسنون، أشخاص من كلّ الأعمار يهربون خوفاً من أن يُذبحوا ويُقتلوا. في اليوم التالي، كنّا ما زلنا مختبئين ومُدركين للخطر الكبير الذي يترصَّد بنا، اضطّررنا أن نأخذ قرار حياتنا: لا خيار آخر لدينا سوى محاولة الفرار من القرية لنكون في مأمن. وسط كلّ هذا الضيق، هذا الخوف وهذا الرعب، مجَّدنا الله، لأنَّه بالرغم من الخوف والذعر وكلّ الأمور التي عشناها، لم تُصَب عائلتنا أو أحد الأشخاص الذين كانوا برفقتنا، بأيّ مكروه. نحن نشكر الربّ إلهنا الطيّب في أيّ وقت وكلّ يوم.. وَجَبَ علينا ترك كلّ شيء وراءنا، كلّ ما اقتنينا بعد سنوات عديدة من العمل في الشمال. تمكَّنا من أخذ بعض المستندات الشخصيَّة وملابسنا، لم نكن نجد في العدد القليل من السيارات الباقية مكانًا شاغرًا لنقل أيّ شيء سوى بعض الهاربين مثلنا. كنا مُجبرين على ترك كلّ ما نملك وراءنا. حين وصلنا إلى بامبا، بفضل الله والمساعدة السخيَّة التي قدَّمها لنا إخوة وأخوات أعزاء من فرق السيّدة، استطعنا أن نستعيد حياتنا تدريجيًا، وأن نتخطَّى كلّ الذعر الذي عشناه. إستُقبِلنا بحفاوة في بامبا، ونزلنا عند والدة زوجتي، عند أهل بيرتا. أقمنا في مساحة صغيرة جدًا، لكنَّنا كنَّا بأمان. بفضل مساعدة إخوتنا وأخواتنا في فرق السيّدة، نجحنا تدريجيًّا، بتخطِّي الصعوبات والصدمات التي عشناها. كانت مساندتهم بلا حدود وحيويّة بالنسبة إلينا. في الفرقة التي استقبلتنا، كانت النصائح، المشاركة، الأخوَّة والصداقة التي تلقّيناها منهم مصدر قوّة لمساعدتنا على تخطي الصعوبات التي صادفناها، ومع الوقت تمكنَّا من إعادة بناء حياتنا. بما أنَّنا خسرنا كلّ شيء، كان علينا البدء من الصفر. لم يكن الأمر سهلاً. نشكر الربّ، لأنِّي تمكَّنت من نقل عملي إلى بامبا، وأنا اليوم في هذه المدينة بشكل رسميّ ونهائي. نحاول التقدُّم رويدًا رويدًا، ونحن بصدَد إعادة بناء بيتنا الصغير الجديد، ليكون لنا مساحتنا العائليَّة الخاصة. لم نعُد إلى كابو دلغادو منذ وصولنا إلى بامبا. نعترف أننا كنَّا خائفين، ولا نعرف حتى إذا كنّا سنعود يومًا. لا نريد حتى أن نتخيّل كيف هي الآن حالة ممتلكاتنا التي تركناها خلفنا، أو حتى إذا ما زالت موجودة...نحن نتقدَّم ونتخطَّى الصدمات التي عشناها، ونُعيد بناء حياتنا الجديدة رويدًا رويدًا وبنعمة الله، وبمعونة عائلتنا وأخوتنا في فرق السيّدة.

بيرتا و إدغار

لنصلِّ معًا

اليوم أيضًا، تلاقينا يا ربّ على دروبنا البشريَّة التي تشبه في أكثر الأحيان طريق عمَّاوس.

لدينا انطباع أننا نسير على غير هدىً على دروبٍ مُظلمة، نجهل بماذا نتشبَّث. مثل التلميذين، لا ندرك دائمًا حضورك في حياتنا، في وجعنا، في خيبات أملنا وإحباطنا.

يا ربّ، يا أبانا، نجد أحيانًا صعوبة في تمييز علامات حضورك في قلب العالم وفي قلب حياتنا. إفتح قلوبنا على كلمتك. ليجعلنا حضورك أقوى في مواجهة الشكوك والإحباط. اجعلنا نكتشف أنّ ابنك يسير معنا على دروب حياتنا. هو الحيُّ المالك معك ومع الروح القدس الآن وإلى دهر الداهرين. آمين.

أسئلة للمناقشة بين الزوجين

١- في الأوقات الصعبة التي يمكن أن تعترضنا في حياتنا الزوجية، كيف تكون صِلَتنا بالله؟ هل ندير له ظهرنا ونسير إلى الوراء في إيماننا، على مِثال تلميذيّ عمَّاوس؟ هل نتجرّأ على التعبير عن خيبات أملنا وعن إخفاقاتنا أمامه بثقة؟ ما هي العوائق التي تخنق هذه الثقة؟

٢- أثناء مسيرتنا معًا، هل نفسح بالمجال للتعبير عن مشاعرنا والمشاركة العميقة بخبراتنا الشخصيَّة لكلّ واحد أو واحدة منَّا؟ ومع أولادنا؟ إلى أيَّة درجة يكون استقبالنا وإصغاؤنا مطبوعين باحترام عميق للشخص الآخر، الذي هو مخلوق مُقدَّس على صورة الله ويستحق كلّ تقدير واحترام؟

أسئلة للمناقشة في اجتماع الفرقة

١- ماذا يمكن أن تكون الصور الخاطئة لدينا أو إدراكنا الخاطئ عن الله؟ كيف يمكن أن تكون حاجزًا حيال لقاء حقيقيّ وشخصيّ مع المسيح الحيّ والفاعل على دروب حياتنا؟

٢- لا يظهر السير معًا، كزوجين وكعائلة، في أغلب الأحيان بشكل واضح، "يجب أن نكون اثنان حتى نرقص التانغو" (مع العلم أنّ التانغو هي رقصة صوفيَّة تربط الراقصين بين الأناقة والإحساس). ماذا يمكن أن تكون حركاتنا ومواقفنا الداخليَّة تجاه بعضنا البعض، خاصة في اللّحظات الصعبة من علاقتنا والتي تعكس شركتنا العميقة واتحادنا الذي لا ينفصم؟

الفصل الثاني

في قلب التاريخ

في هذا الفصل سنكتشف إلهًا لا يسكن السماوات، بل إلهًا تجسَّد، دخل تاريخنا بلطف، وسلك طرقنا دون أن يفرض نفسه علينا، ليكشف لنا عن وجهه المُحبّ، وجه الآب.

" وبينما هما يتحدَّثان ويتجادلان، إذا يسوع نفسُهُ قد دنا منهما وأخذ يسير معهما، على أنَّ أعينهما حُجِبَت عن معرفته." (لوقا ٢٤، ١٥-١٦)

نحن خليقة الله، ثمرة حبِّه الأزليّ. نحن مدعوون لقضاء حياتنا على الأرض من دون البقاء في السطحيّات، أو عيش حياة خاملة، أسيرَي الخوف، نبحث عن الثروات الماديّة الأرضيَّة، والسلطة... لكن من ناحية ثانية، نعترف أنَّنا مخلوقات محدودة في الزمان والمكان، بسبب حواسنا الخاصة. في حين أنَّ إلهنا هوأزليّ، خالد لا يموت، وهو خارج نطاق الزمان والمكان.

إله أزليّ جعل من نفسه صغيرًا ليلتقي بنا

فإذا بإلهنا، ويا لمفاجأتنا الكبيرة، قد اختار أن يجعل من نفسه صغيرًا، لَبِسَ إنسانيتنا وأصبح إنسانًا. لم يتوقَّف يومًا عن الاقتراب منَّا والسير على دروبنا. لا يريد سوى الكشف عن صورته لنا، عن وجهه، وعن حبِّه.

لِنَعُد إلى التلميذين في طريق عودتهما. لا نعرف بالتحديد من هما. لم يكونا من مجموعة الإثني عشر تلميذًا. هل كانا من مجموعة الإثنين والسبعين الذين أرسلهم يسوع للرسالة؟ هذا ممكن، لكنّ الإنجيل لا يؤكِّد الأمر، على كلّ حال كانا شخصين حريصين على رسالة يسوع، لكن كانا يرياها على طريقتهما. اكتشفنا في الفصل الأوَّل، أنَّهما كانا يعتقدان أنّ يسوع هو النبيّ العظيم المُنتظَر الذي سيُخَلِّص إسرائيل، فأسندا إليه دورًا سياسيًا جوهريًا. وها إنَّ يسوع قام من الموت وظهر لهما بحيث إنّهما وجدا صعوبة في التعرّف إليه. هل السبب أمر خارجي، تغيير ما في مظهره الخارجيّ؟ لكنّ الإنجيل أوضح لنا، أنَّهما " مُنِعا" من التعرّف عليه. إذًا من المحتمل أن يكون الأمر حركة داخليَّة، وعلى الأرجح إلهيَّة، إنَّه دون شك توافق الأمرين معًا. على أيِّ حال، لم يكن الربّ يريد أن يتعرّفا إليه، بالتحديد، لأنَّهما قليلي الإيمان، أو على الأقل، لأنَّ تصوّرهما عن المسيح لم يكن صحيحًا.

الإيمان يفتح أعيننا

التعرّف على يسوع القائم من الموت هو قبل كلّ شيء عمل إيمانيّ. كيف السبيل إلى التعرَّف إليه، وهو ليس الرجل الذي كان عليه في حالته البيولوجيَّة السابقة، بل المسيح، الذي رُفِعَ عن يمين الآب وأعطى الحياة؟ ما الذي يجعل أعينهما تُفتَح؟

يُخبِرونا في أغلب النصوص التي تلي نص القيامة، أنَّ التلاميذ نجحوا في التعرُّف على المسيح، وذلك بالردّ على كلمة وُجِّهَت إليهم، وسمحت لهم بأن يعرفوا من هو يسوع في العمق.

تُخبِرُ راهبة أفريقيَّة أثناء رياضة روحيَّة مع جماعتها الرهبانيَّة: " وضع المُرسَل الذي كان يُدير الرياضة، باقة من الأزهارعلى طاولة، أزهار مألوفة في منطقتنا. سألنا الكاهن: ما رأيكم؟ أجبناه أننا نجد الكثير من الأزهار المُشابهة في كلّ مكان تقريبًا. فراح يُظهر لنا إلى أي مدى هذه الأزهار هي جميلة، علَّمنا أن نراها. أخيرًا رأينا تلك الأزهار، وتعرَّفنا إليها."

ربما يكون الأمر مماثلاً بالنسبة إلى الإيمان بيسوع المسيح القائم من الموت. (سوف نتعمَّق بهذا الجانب في الفصل الخامس).

ماذا عنّا نحن اليوم؟

في أوقات المِحَن وفي مواجهة مآسي الحياة، نكون مُنهَكين بسبب الأحداث التي تخالف كلّ توقعاتنا وطموحاتنا... نحن أيضًا، على مثال هذين التلميذين، يمكن لأعيننا أن تُمنَع من التعرّف إليه، حتى حين يقترب منّا، وأكثر من هذا، حتى حين يسير معنا. نفقد كلّ ثقة. غيَّر يوم القيامة العظيم التاريخ، لكن يصعب علينا أن نرى كيف يمكنه أن يغيّر تاريخنا الخاص.

كيف يمكننا أن نؤمن بعمق بعنايته الإلهيَّة على ضوء قيامته؟ يمنحنا الربّ نوره ليصبح ممكنًا أن نؤمن، لكنَّه يترك فينا ما يكفي من الظلال، حتى يبقى فعل الإيمان فعلاً حرًا، وخيارًا نعيشه. يقول البعض أنَّ فعل الإيمان هو شرط لإيمان فعَّال. ويبدو عند البعض الآخر أنّ الإيمان هو اندفاع عفويّ، فَرِحٌ ومُشِعّ... يُشَبِّه آخرون الإيمان بنضال صعب، أليم، يحتاج استئناف العمل عليه بدون توقّف. يكمن الخطأ في التفكير أنَّ الناس الأوائل كان لديهم إيمان أقوى. يُشكِّل اختبار الظلمات جزءًا من سرّ الإيمان. جاء في الكتاب المقدَّس، العهد القديم، في المساء يحلُّ البكاءُ

وفي الصباحِ التهليل. (مز ٣٠-٦). نرى هذا أيضًا في حياة يسوع : مجد طابور وفناء الجسمانيَّة. ونجده أيضًا في شهادة المتصوِّفين الذين يعرفون التنوّر العقلي الأكثر ورعًا، وكذلك الأحزان المُضنية.

الإيمان هو عطيَّة وجواب

يكمن جمال وأُعجوبة الإيمان، في أَنّها لقاء نعمة الله التي تعطي الإيمان، وحريَّة الإنسان الذي يقدِّم إيمانه. لقاء أرضيّ غير كامل الآن، لكن فيما بعد يصبح سماويًا فيفسح بالمجال لمشاهدة الآب. أُعطِيَ لنا بملئه بيسوع: بتجسُّدِهِ جاء ليعضدنا على هذه الأرض، وبقيامته فتح لنا باب السماء.

ماذا عن حياتنا الزوجيَّة؟

كان تلميذا عمَّاوس يتحدَّثان ويتجادلان: اجتياز المحنة، يعني أوّلاً وفي أكثر الأحيان الصراخ، البكاء، والغضب.

تقتضي الحركة الأولى الاعتراف بالهزيمة. إجتياز المحنة، يعني، في البدء، الصراخ، البكاء، والغضب وليس الإنتفاض من جديد. نجد الكثير من هذه الصرخات وهذه الدموع في قراءة المزامير "من الأعماق، صرخت إليك". يسمح الكتاب المقدَّس للإنسان بعيش هذه الإنتفاضة، هذا ما لاحظه أوليفييه بيلليل (علمانيّ مُتزوِّج، والذي منذ إعادة اكتشافه للمسيح، أصبح شغفه مشاركة الإيمان، هذا الإيمان الذي يجعله يعيش مع الآخرين). لا يتعلَّق الأمر بالتجديف، بل بأن نقول بأنَّ هذا الأمر لا يُحتمَل. حتى أنَّ أيوب توصَّل إلى أن يقول للربّ: "لماذا أنتَ خصمي؟"

التبليغ عن المحنة التي تصيبنا، تسميتها، والنظر إلى طابعها الذي لا يُحتَمَل، هو إثبات من الواقعيَّة. "يجب أن ننهض من جديد من المحنة، لكن حتى نتخطاها، يجب أن نبدأ بعيشها أولاً. لا يمكننا تجنّب الضربات بإنكارنا للواقع". (مارتان ستيفينز، فيلسوف مسيحيّ، حائز على جائزة الأنسي المسيحي – مذهب فلسفي يتّخذ من الإنسان في حياته الواقعيَّة موضوعًا له– وجائزة الآداب الدينيَّة).

أيّ موقف علينا تبنِّيه؟ القبول أو الإستسلام؟

لا يعني القبول، في أيّ ظرفٍ كان، استسلام مرضيّ أو إهمال. يكمن التحدِّي في الإنفتاح على كلّ الحياة، تعلُّم الارتجال، والنشاز حتى، لنصنع لحن سعادتنا. يتطلَّب القبول بإعاقة ولد والموافقة على العيش مع شوكة في الخاصرة، حياةً كاملة يتخلَّلها يُسرٌ وعُسرٌ، الطريق ليس مستقيمًا. هذا يقتضي تحوّلاً داخليًا.

في المحنة، الشيء الوحيد الذي يتعلَّق فينا هو الطريقة التي نتحمَّلها بها، وكيفيَّة التعاطي مع الأمور. من المفيد أن نُدرك أنّه حتى نقبلها، علينا التخلِّي عن بعض التصرّفات، نتخلَّى عن "**لماذا**" لدى موت الزوج، و"**لو**" "لو كان إبني أو زوجي ما زال هنا" ... كم من العبارات التي لا تؤدِّي إلاَّ إلى طريق مسدود، تُعتبرُ سُمًّا حقيقيًّا، لأنَّها تمنعنا من التقدُّم. في أغلب الأحيان ودون أن نفهم ماذا يطلب منَّا الله بدايةً، علينا أن نعطيه ثقتنا بالكامل، ونثق بأنّ لهذه المحنة معنىً، علينا القبول بعدم معرفة هذا المعنى، والاستسلام كليًا بين ذراعيّ الآب. هذه نعمة، ثمرة من ثمار الصلاة، لاسيّما صلاة الآخرين من أجلنا.

لا يعني القبول أننا خرجنا من المحنة. يجب أن نأخذ وقتنا للتعافي منها، ونتحمّل الأيام القاتمة إلى أن تلتَئِم الجراح. تقول الحكمة الشعبيَّة: "دَع الوقت للوقت" هذا الأمر يتطلَّب الكثير من الصبر وأعمال رجاء، جهوزيّة للوجود، للعمل الذي ستقوم به الحياة بِحَدِّ ذاتها. أن نولد من جديد، لا يعني أن نمحو كلّ شيء ونبدأ من الصفر، بل أن نعيش بداية جديدة، مع أثار الجروحات على مثال جروحات المسيح، لأنَّ بعض الجروحات لا يُمَّحى.

زواجنا هو طريق نمشيه نحن الإثنين معًا. في الأوقات الصعبة، نتحادث ونتساءل... أحيانًا تصبح مناقشاتنا إتِّهامات متبادلة. يُلام الآخر حتى لو لم يكن مُخطئ كليًا. نصبح كالغرباء الواحد بالنسبة إلى الآخر. يكون الألم أحيانًا موجعًا لدرجة يجعلنا ننزوي كلٌّ في زاويته، في عزلة باردة ووحدة خانقة.

اقترب يسوع بنفسه من التلميذين، ليس بغتة، ليس بفظاظة ولا بالقوَّة. إقترب بكلّ احترامٍ لإرادتهما. كان مستعدًا لتغيير خططه من أجل لقائهما، تبع خطاهما، وخضع لإرادتهما. هذا هو إلهنا، دائمًا حاضر للإنحناء، لا يهمّه إلاَّ الحبّ. حبّ ينحني حتى يصبح في مستوانا، حبٌّ يمَّحي، يتراجع ليترك لنا مكانًا. حبّ يثق بنا، يرفعنا ليجعل منّا مشاركين له في الخلق. نحن رائعو الجمال في نظره لدرجة أنّه يُسرع ليصبح واحدًا معنا، ليتَّحِد بنا، ويوحّدِنا به بشراكة عميقة.

صورة إلهنا تُعَلِّمنا كيف نسير معًا

لنتأمَّل بصورة إله مثل هذا الإله، هل يمكننا كشريكين أن نتحلّى بالنظرة ذاتها على مثاله، والموقف ذاته الواحد تجاه الآخر، على درب حياتنا المشتركة؟

هل يمكن أن يكون لدينا هذا التعاطف ذاته، الواحد تجاه الآخر؟

في الوقت الذي تعجز أعيننا عن الرؤية بسبب قساوة الأحداث، الخوف والقلق، هل نستطيع أن نُشعِلَ معًا نار الإيمان؟ أن نتعاون حتى يصبح إيماننا قرارًا؟ إيمانٌ يصرخ: إلهي، أنتَ حاضرٌ معنا، حتى لو أنّ أعيننا تعجز عن التعرّف إليك، عن التعرّف إلى وجهك، عن معرفة إرادتك، ومعنى ما يحصل في حياتنا... لدينا ثقة بأنَّك ترافق وتقود خُطانا. وأكثر من هذا، فأنتَ تحترم الإتجاه الذي نسلكه، تُغيِّر خططَكَ من أجلنا، وأنت قادر على تحويل كلّ شيء حتى تقودنا إلى خلاص نفوسنا. حتى لو حُجِبَت أعيننا عن معرفتك، لدينا الثقة بأنك تحملنا بين ذراعيك. في أوقات الضعف هذه بالتحديد، تشعّ قوَّة حبِّك.

ماذا عن العالم حيث نعيش؟

نسمع من حولنا أحاديث يائسة عن العالم حيث نحن. في وقت أو في آخر نصرخ مع النبي حبقوق: "إلامَ يا ربّ أستغيث ولا تسمع، أصرخ إليكَ من العنف ولا تُخلِّص؟ ... هل ستبقى هنا لتنظر إلى مأساتنا؟ وها أنَّ جواب إلهنا يأتي بشكل وعد: "ويلٌ للمُكثِر ممَّا ليس له، النفسُ غيرُ المستقيمة غيرُ أمينة، أمَّا البارُّ فبأمانتِه يحيا". هذه دعوة لنا لنسير في الإيمان.

بعد أن صرخنا مع النبيّ، نتلقَّى الدعوة لنفتح قلبنا. نشعر حقاً بضعفنا ونتوسَّل المسيح المُخَلِّص: " يا ربّ قوِّ إيماننا". ساعدنا حتى لا نيأس، حتى نرى أبعد وأعلى من المظاهر، ونسير في النور. لا يطلب منَّا المسيح أن نتحلَّى بإيمانٍ هائل، بل بالأحرى بإيمان بسيط ومتواضع مثل حبة خردل صغيرة. هذا كافٍ ليقدِّم لنا جوابًا على قلقنا وقلق عالمنا. أجل، هذا يكفي لتحريك وتحويل بشريتنا التي تسير في أغلب الأحيان على غير هدىً. يكون هذا كنورٍ خافت كافٍ ليبدِّد الظلمة ويعطي الأمل من جديد. هذا ما أشار إليه البابا في رسالته البابويَّة " نور الإيمان"، التي تُشكِّل نصًا رائعًا مليئًا بالرجاء. يُعلِّمنا هذا المُستَنَد الكنسيّ، أنَّ الإيمان يُوَجِّه تركيزنا على المسيح الذي هو نور العالم، ونورنا: " يلمع نور المسيح كما في مرآة، على وجوه المسيحيين، وهكذا ينتشر ويصلُ إلينا، حتى نستطيع نحن أيضًا، أن نشترك بهذه الرؤية ونعكس هذا النور على الآخرين، كما في ليتورجيَّة عيد الفصح، إنَّ نور الشمعة يضيء شموع كثيرة أخرى. الإيمانُ يُنقَل، بالتواصل من شخص إلى آخر، كما الشُعلة تُضاء من شُعلة أخرى. بفقرهم، يزرع المسيحيّون بذرة خصبة لدرجة أنَّها تُصبح شجرة كبيرة قادرة على أن تملأ العالم بالثمار.

مقتطف من نص دعوة الأب كافاريل

"في شهر آذار من العام ١٩٢٣، منذ حوالي خمسين سنة بالتحديد، وذات يوم أدركت وجود المسيح، حياة المسيح، محبَّة المسيح، علاقة المحبَّة بين المسيح والإنسان وما هي مقتضيات الحياة المسيحيَّة، كان هذا بالنسبة إليّ نقطة تحوُّل.

تبدّلت الأمور عمّا كانت عليه قبل شهر آذار ١٩٢٣ وعمّا أصبحت عليه بعد هذا الشهر نفسه.

ترك هذا الأمر أثرًا في حياتي، ومنذ ذلك اليوم، ليس لديَّ إلاَّ رغبة واحدة فقط، وهي أن أدخل أنا نفسي بشكل أكبر في حميميَّة مع المسيح وكذلك لديَّ رغبة أخرى، جذب الآخرين إليها، لأنَّه كان أمرًا جوهريًا في حياتي. فقد منحني الفرح للعيش، نعمة العيش وزخم الحياة.

لذلك لا يسعني إلاَّ أن أتمنَّى للآخرين هذا اللقاء مع المسيح الحيّ، وهذا الإكتشاف بأنَّ الله محبة.

مقتطف من الرسالة العامة الأولى للبابا فرنسيس "نور الإيمان"

الإيمان والعائلة

٥٢- " أفكِّر خاصة بالوحدة الثابتة بين الرجل والمرأة في الزواج. والتي تولّد من محبَّتهما، وهي أيضًا علامة لمحبَّة الله وحضوره، ومن التعارف وقبول هذا الخير الذي هو الإختلاف الجنسي والذي بواسطته يستطيع الشريكان أن يتَّحدا في جسد واحد، (را. تك ٢، ٢٤) فيكونا قادرين على إنجاب حياة جديدة، إظهارًا لصلاح الخالق، ولحكمته ولتدبير محبَّته. فيتمكَّن، من خلال الرسوخ في هذه المحبَّة، أن يَعِد أحدهما الآخر بالحب المتبادل بمبادرة تشمل كلّ حياتهما وتُذَكِّر بالعديد من خصائص الإيمان. يكون التعهّد بمحبَّة تستمر للأبد ممكنًا عند اكتشاف مخطط أكبر من مخطَّطاتهما. مُخَطط يسندهما ويسمح لهما بإهداء كلّ المستقبل للشخص المحبوب...

٥٣- يرافق الإيمان في العائلة، كلّ مراحل الحياة، بداية من الطفولة: فالأطفال يتعلّمون الوثوق في محبة والديهم. لهذا فمن المهمّ أن يزرع الوالدان في الأسرة التقويات الإيمانيَّة الشائعة، والتي ترافق نضج الأبناء الإيمانيّ. وقبل كلّ شيء الشباب الذين يمرّون بمرحلة معقَّدة في الحياة، وغنيَّة ومهمَّة بالنسبة إلى الإيمان: يجب أن يشعروا بقرب وبعناية العائلة والجماعة الكنسيَّة في مسيرة نموّهم في الإيمان... فالإيمان ليس ملاذًا لقوم خائفين، بل هو إثراء للحياة. إنَّه

يجعلنا نكتشف النداء العظيم، والدعوة للمحبَّة، ويؤكِّد أنَّ هذه المحبَّة هي صادقة وتستحقّ أن نستسلم لها. لأنَّ أساسها يقوم على أمانة الله، الأقوى من كلّ ضعفنا.

قوَّة تعزية في الألم

٥٦- غالبًا ما يجرّنا الحديث عن الإيمان إلى تجارب مؤلمة، لكنّ القديس بولس في واقع الأمر، يرى فيه البشرى الدامغة للإنجيل، لأنَّه في الضعف وفي الألم تظهر وتُكشَف قدرة الله التي تتجاوز ضعفنا وآلامنا...إنَّ الإيمان ينيرنا في وقت التجربة، وإنَّه بالذات في الألم وفي الضعف يصبح واضحًا... لسنا نحن من يعظ بل يسوع المسيح (٢ قور ٤، ٥)... يعرف المسيحيّ أنَّ الألم لا يمكن إلغاؤه، ولكن يمكن إعطاؤه معنىً، يمكن تحويله إلى فعل محبة، ثقة بين يديّ الله الذي لا يهملنا، وبهذه الطريقة يصبح الألم نفسه فرصة للنمو في الإيمان والمحبَّة. فيتعلَّم المسيحيّ عن طريق تأمُّل وحدة المسيح مع الآب، حتى في وقت الألم العظيم فوق الصليب (را مر١٥، ٣٤) المشاركة في نظرة يسوع ذاتها. فحتى الموت يستنير ويمكن عيشه كالدعوة النهائيَّة للإيمان النهائي " أخرج من أرضك"، والنهائي "تعال" ينطقها الآب، والتي بها نسلِّم أنفسنا واثقين من أنَّه سيجعلنا مُطمئنين حتى في تلك الخطوة النهائية.

شهادة حياة

كان يومًا عاديًا من شهر آب من العام ٢٠٢٢، كنَّا نشارك كالعادة كزوجين، في لقاء اجتماعيّ مع فرقتنا. بصورة عامة، كنَّا نصلّي المسبحة، نتشارك الطعام مع أصدقائنا أعضاء الفرقة، ونتواصل بحديث خفيف يملأ نفوسنا بمعرفة حالة أصدقائنا، إذا كانوا بخير (أحيانًا لا يكونوا كذلك) خلال الشهر المنصرم.

بعد الظهر، وصلنا إلى البيت وغرقنا في الرتابة الليليَّة. حين دخلنا غرفة ابنتنا الصغيرة (التي تعيش معنا منذ ولادتها)، اكتشفنا أنّ جسدها لا حياة فيه. كانت أميرتنا الصغيرة تنير حياتنا لخمس سنوات، بنور عظيم، لايمكن أن يقدّمه إلاّ حبّ فائق الطبيعة.

قبل هذا اليوم بسنة...

دُعينا من قِبَل الزوج المسؤول عن المنطقة الكبرى SRHS لنخدم كزوجين مسؤولين عن المنطقة الجنوبيَّة لخط الإستواء، لم نكن نتوقّع هذا الأمر ولم نكن مستحقين، دُعينا للخدمة وسرعان ما شعرنا بأنّنا مستعدّين. بعد تمييز سريع قمنا به كزوجين معًا، قلنا "نعم"، ووضعنا كلّ شيء بين يديّ الله آملين أن يقودنا في هذا النداء الجديد للخدمة.

لم نفهم لماذا اختارانا، لم نكن نعلم ماذا كان الله يُخبىء لنا.

كانت هذه المسؤوليَّة الجديدة تطرق على بابنا، بعد أن سِرنا في الحركة ١٢ سنة ومارسنا بعض المسؤوليات. نجحت الحركة بتحسين علاقتنا كزوجين وجعلت من الله الثالث في اتحادنا، "علاقة لا تنقطع..."

بعد دخول الحركة إلى حياتنا بوقت قصير، أصبحنا نحضر القدَّاس كلّ يوم أحد، كانت الإفخارستيَّا غذاءنا الإلهيّ لكلّ الأسبوع، كنَّا نصلي سويّة وكلّ لوحده كلّ يوم، نشارك بالرياضات الروحيَّة السنويَّة، كنَّا دائمًا نشيطين في الخدمة والرسالة في الحركة. نجحنا في أن ننقل إلى عائلتنا وأصدقائنا، كم هو جيّد الإقتراب من الله، وشعرنا أنَّنا نجحنا بهذا الأمر، وأنَّنا وصلنا إلى هذه الإلفة مع الله، والتي لم نكن نستحقها حتى الآن.

لكن، في تلك الليلة، ليلة تركت أميرتنا الصغيرة بغتة هذه الحياة الأرضيَّة، رحنا نتساءل:

ماذا حصل، ما السوء الذي اقترفناه، أين فشلنا؟ لم نكن نفهم شيئًا، كان لدينا كمًّا من الأسئلة والقليل القليل من الأجوبة.

على مثال تلميذيّ عمَّاوس، كنّا نحن كزوجين، في منتهى الحزن ونسير على غير هدىً. كنا نشعر أننا ضعيفين وسريعي العطب.

كانت الساعات التي تلت فقدان أميرتنا الصغيرة مطبوعة بجرح مفتوح نازف. كنّا بحاجة للحبّ، للإهتمام والتعاطف من قِبَلِ عائلتنا وأصدقائنا. لكنَّنا كنّا خاصة بحاجة لحب وعناية وتعاطف الله.

في الأيام التي تَلَت هذا الحدث، كنا نعيش في رتابة بين الارتباك والأمل. مشينا يدًا باليد بانتظار الراحة المرجوَّة.

لو لم نكن ننتمي إلى فرق السيّدة، لكان هذا الألم مُدَمِّرًا. كان باستطاعته أن يُدمَّرنا، كأفراد وكزوجين وبالتالي كعائلة.

كان هذا الألم، بمعونة الله، مقبولاً وجعلنا أقوى كأفراد، كزوجين وكعائلة.

هل من الممكن، في تدابير الله المُبرَمَة، أن يكون مرور أميرتنا الصغيرة المؤقَّت على هذه الأرض واحدٌ من الأحداث؟ وإذا كان الأمر هكذا، ربما كان الله يحضِّرنا لهذا الحدث لمدة ١٢ سنة (المدَّة التي أمضيناها في فرق السيّدة)؟ اليوم، نحن كزوجين، نعتقد هذا ... نعتقد أنَّه حضَّرنا لحدث بهذه الصعوبة، كما حضَّر إخوتنا في الفرقة ٢٢ ليقدِّموا لنا الراحة الجسديَّة والروحيَّة.

ختامًا، نريد أن نقول بكلّ بساطة، أنّه في الطرق الغامضة التي يعمل بها الله، جعلنا نعرف أنّ أميرتنا الصغيرة تتمتع بحضوره، كما أرادنا أن نكتب هذه الشهادة عن ألمنا وحزننا. هذا الألم والحزن تحوّلا إلى راحة ورحمة من قِبَلِ الله نفسه.

لورينا وبيبي لونا

منطقة جنوب خط الإستواء

لنصلِّ جميعنا مع البابا فرنسيس لننمو بـ "نور الإيمان"

" يا أمَّنا، قوِّي إيماننا!

إفتحي آذاننا لنصغي إلى كلمة الله، حتى نميّز صوته ونداءاته. أيقظي فينا الرغبة في السير على خطاه، بالخروج من أرضنا وتقبّل وعده.

ساعدينا لندع حبُّه يلمسنا، حتى نستطيع أن نلمسه بالإيمان.

ساعدينا لنثق به كليًّا ونؤمن بحبّه، خاصة أوقات المحنة وحمل الصليب، حين يكون إيماننا مدعوًّا للنضوج. إزرعي في إيماننا فرح القائم من الموت.

ذكِّرينا أنّ الشخص المؤمن، لا يكون أبدًا لوحده.

علِّمينا أن نرى بعينيّ يسوع، ليكون هو النور على دربنا. وليكبر نور الإيمان هذا فينا دائمًا إلى أن يأتي اليوم الذي لا مغيب فيه، وهو المسيح بذاته، ابنكِ، وإلهنا! آمين " (صلاة مريميَّة للبابا فرنسيس نُشِرَت في ختام الرسالة البابويَّة، حتى نلتفت نحو مريم، الكليَّة القداسة، أمَّ الكنيسة وأمّ إيماننا).

أسئلة للمناقشة بين الزوجين

١- بأيَّة طريقة أستوحي من مَثَل إلهنا القائم، لأعرف كيف أقترب بلطف من "الحديقة السريَّة" لشريكي؟ أستقبل كيانه الأعمق باحترام وتعاطف. هل يمكنني أن أدرك أنّ حضوره في حياتي هو هديَّة من السماء عليّ استكشافها باستمرار؟

٢- هل نقبل الإيمان كنعمة؟ كيف؟ ما هي الوسائل الحسيَّة التي تساعدنا على مساندة أحدنا الآخر لتكبر الثقة بيننا؟

أسئلة للمناقشة في اجتماع الفرقة

١- ما هي العقبات التي تعيق أو تُبطئ مسيرتنا في الإيمان؟ هل يمكننا التعرّف عليها وتسميتها؟ كيف يمكننا مساندة بعضنا البعض، لنفهم بطريقة أفضل هذا الجانب من إنسانيتنا، لكن دون أن ندعه يسيطر علينا أو يُوَجِّه حياتنا؟

٢- كيف نشهد لإيماننا في عائلاتنا، مع معارفنا من الناس، في حياتنا اليوميَّة، وفي كنيستنا؟ هل بالكلمة؟ أو بطريقة أو بأسلوب حياة، يجعل الآخرين يتساءلون؟ هل يمكننا أن نتشارك بأمثلة حياتيَّة واقعيَّة عن هذه النقطة؟

الفصل الثالث

قلوب مَدعُوَّة

في هذا الفصل نكتشف حنان إله ينحني ليسألنا وهو شغوف ليصغي إلينا. إنَّ تجاربنا بالهزيمة، بالألم...غالية على قلبه، لدرجة أنَّه مستعدّ ليخلي ذاته ليستقبلها، يستوعبها ويحوِّلها إلى خبرات حياة.

"قال لهما يسوع: ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وأنتما سائران؟ فوقفا مُكتئبين. وأجابه أحدهما واسمه قلاوبا: أأنتَ وحدكَ نازِلٌ في أورشليم ولا تعلمُ الأمورَ التي جرت فيها هذه الأيَّام؟ فقال لهما: ما هي؟ " (لوقا ٢٤، ١٧- ١٩)

هو الذي كان في قلب هذه الأحداث. لقد جال في كلّ أنحاء الجليل مع تلاميذه، يُعَلِّم ويَعِظ بالبشرى السارة للملكوت. لم يتوقَّف يسوع عن الكشف لنا عن وجه إله رحوم، لثلاث سنوات، طوال مدَّة رسالته. رفضه الفرّيسيّون وعلماء الشريعة. لم يستطع شعبه أن يفهم رسالته لدرجة أنَّه عُلِّق على الصليب في النهاية. إذاً كان هو في قلب كلّ تلك الأحداث. هو الذي يعرف قلب الإنسان، يعرف معنى الألم وخيبة الألم. يقترب من هذين التلميذين ويسألهما: "ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وأنتما سائران؟ عن أيَّة أحداث؟"

تدخَّل يسوع بلطف، إنحنى عليهما. من خلال أسئلته، يدفعهما إلى التفكير، ربّما للذهاب لأبعد، للنظر إلى أبعد من الأحداث الحاصلة. يقترب ويتدخَّل، لكن يحصل هذا الأمر في الوقت الذي يراه هو مناسبًا، وبطريقته الخاصة. يعرف الوقت المناسب ويعرف الطريقة.

يقترب من دون أن يفرض نفسه. يريد أن يصغي إليهما، أن يدخل عالمهما الداخليّ ليعرف كيف يدركان الأمور. إنَّه صبور، يبطئ في المسير ويمشي بحسب إيقاعهما الخاص.

يدعونا هذا النص، بكلّ تفاصيله، لننضمّ إلى التلميذين في مسيرتهما لكي نكتشف أسلوب يسوع ونتأمَّل به. حياتنا، كأشخاص وكأزواج، هي نوع من مسيرة. نسير على دروب الحياة وبعينيّ الإيمان، نحاول رؤية يسوع يرافقنا على دروبنا. يأخذ هو المبادرة لينضمّ إلينا، حتى في الأوقات الأكثر ألمًا، يكون حاضرًا معنا، في قلب حياتنا ليعزِّينا.

إله علائقيّ

حين تكون قلوبنا ضعيفة وثقيلة، نكون غارقين في الإرتباك، ينتظر منَّا إلهنا أن نخبره عن الأحداث اليوميَّة التي تحصل معنا، عمّا يُشغلنا، عمَّا يُثقل قلوبنا، عمّا يصيبنا بالإضطراب على الصعيد الشخصيّ، في عائلاتنا، حولنا وفي العالم. أحيانًا نقول لأنفسنا: لكنَّ الله يعلم بكلّ شيء، يعرف كلّ شيء، لما نتكبَّد عناء التحدّث إليه؟ ونقطع التواصل معه من دون أن نعلم. لا نُدرِك أنَّ إلهنا يريد أن يقيم معنا علاقة ديناميَّة. إلهنا إلهٌ علائقيّ. يفتح الحوار معنا (مشى في الجنَّة رغبةً منه في التحاور مع آدم وحواء، والنصوص حول ابراهيم تقدِّم لنا لقاءات غنيَّة بحوارات مُتعدِّدة، تدلّ على علاقة مُتجدِّدة باستمرار). إله علائقيّ يتحدَّث معنا كصديق.

إنّه مُختلفٌ تمامًا عن الكليّ القدرة أو الغاضب الأبديّ الذي علينا أن نهدّئ من غضبه. إنَّه الذي لا يُطفىء الفتيلة المُدَخَّنة، يذهب للبحث عن النعجة الضائعة، والذي يقترب من السامريَّة ويبدأ بالتحدّث معها.

تتضمَّن العلاقة مع إلهنا مساحة لنا. يقدِّم لنا هذه المساحة لنُعَبِّر عمّا في داخلنا، لنتوجَّه إليه بدون عوائق. نحن موجودون من أجله. كلماتنا، صرخاتنا ... يريد أن يسمعها حقاً. نحن قَيِّمون بنظره.

أجابه قلاوبا : " أنتَ وحدك غريب ..." هذا أحد المواقف التي يمكن أن نتَّخذها حيال تدخُّل الله في دروبنا. إنَّه " غريب " بالنسبة إلينا، لا يعرف أو حتى يجهل أحداث حياتنا. نُبعِدُهُ عنَّا، نحدّ أنفسنا بإدراكنا الخاص للعالم الذي يحيط بنا. يصعب علينا النظر إلى الأحداث من خلال نظره هو. (سوف نتطرَّق إلى هذا الجانب من علاقتنا مع الله في الفصل الخامس).

على طريق الثقة

تُعتَبَرُ حياتنا مسيرة نحو كمال الثقة. وإذا قلنا أنَّ الحفاظ على الثقة أمرٌ سهل، نكون كأننا نعيش في الغيوم. نعيش كلّنا صراعًا روحيًّا مستمرًا للمحافظة على الإيمان والثقة. لطالما كانت حياتنا الروحيَّة وستبقى دائمًا صراعًا بما أنَّ الشرَّ يحيط بنا، يترصَّدنا، وحتى أحيانًا يجتاحنا من الداخل. لكن لا يجب أن يُخيفنا هذا الأمر لأنَّنا لسنا أبدًا لوحدنا، لسنا يتامى. لسنا هنا في هذه الحياة متروكين للقدر، أوتائهين في العدم. نحن مخلوقات محبوبين، مرغوب بنا ومُخلَّصين بدمّ الحمل. حمل الله الذي أسلم ذاته حبًا بنا، ليرفعنا نحو القداسة. إذًا دعونا لا نخاف من الصراع الروحيّ اليوميّ الذي سيصبح في نهاية المطاف نبع نضوج وسبيل للتحوّل.

مثابرة، لكلّ يوم صراعه

" إذا كان الله معنا، فمن يكون علينا؟" (رو ٨، ٣١). مهما تكن المحنة التي نمرّ بها، إذا أعطينا قلبنا وحياتنا ليسوع، يمكننا أن نطمئن بأنَّ الشر سيخمد في النهاية. إيماننا هو قبل كلّ شيء، لقاء مع يسوع الحيّ الذي يسير معنا، ليس على طرقات اليهوديَّة، منذ ٢٠٢٤ سنة، لكن هنا والآن، اليوم. حين نثق بهذا "الحب" الذي بدأ يعمل في قلوبنا وحياتنا، نكون قد شُفينا.

الربّ راعيَّ : فلا يعوزني شيء

يعطينا المزمور الأكثر شهرة، المُسمَّى مزمور داوود (مزمور ٢٣)، هذه الصورة الجميلة عن الراعي الذي يهتم بنعجته ويدعها ترتاح في مراعٍ نضيرةٍ ... على عكس الحيوانات الأخرى، فالخرفان رخصة العود، لا يمكنها أن تدافع عن نفسها بأسنانها أو مخالبها ... فهي لا تعدو، لا تعرف كيف تختبىء أو كيف تتسلَّق الأشجار لتهرب من المُعتدي عليها. لا يمكنها أن تجد طعامها دون الحاجة إلى وجود راعٍ يهتم بها. فراعينا يعرف هشاشتنا البشريَّة، يعرف كلّ نعجة من نعاجه باسمها. يظهر جمال هذا المزمور بوضوح أكثرفي

تفصيل صغير. لا يقول كاتب المزمور، الأزلي "هو"، أو "الراعي"، بل يقول " راعيَّ"، "مياه الراحة يوردني ويُنعشُ نفسي"، و"إلى سُبُلِ البرِّ يُهديني، إكرامًا لاسمه" ...هذا المزمور ما زال يُعبِّر عن الواقع الحالي، يتوجَّه إليَّ، إليكَ، إلى كلِّ واحدٍ منّا، واليوم.

كلّ واحدٍ منَّا اليوم ... مدعوّ للتواضع

لنختبر الإقتراب منه، لندع حبّه يلمسنا. لنتعلَّم التعرّف عليه، لنحبَّه ولنتبعه دائمًا، في كلّ مرّة أكثر بقليل. يمكننا أن نستلهم من اختبار العديد من النساء والرجال الذين، ذات يوم، التقوا بالمسيح على دربهم. اجتاز حياتهم، فأضاءها وحوَّلها. أسر قلوبهم وحملهم وارتقى بهم إلى مستوى غير معقول. أصبحوا مصابيح حيَّة، تشعّ حبًّا، لأنّ نظر " الحب الأزليّ" قد وقع عليهم. هناك الآلاف والآلاف من القدِّيسين والشهداء، المعروفين وغير المعروفين، الذين ضحّوا بكلّ شيء من أجله: المال، السلطة، الحبّ البشريّ ... وهذا الحبّ يكبر باستمرار ليجتاح البشريَّة عبر العصور.

أن يكون الإنسان مسيحيًّا، لا يعني أن يتبع سلسلة من القوانين والممنوعات. على العكس، أن يكون الإنسان مسيحيًّا، يعني أن يلتقي بشخص يسوع الذي يُغذينا من كلمته الحيَّة. تكمن مأساتنا اليوم، في أننا نُفَوِّت هذا اللقاء الشخصيّ

مع يسوع. لا نعرفه لأننا لم نتأمَّل به مُطوَّلاً وبحبّ. لنقتدِ بالرسل، تأمَّلوا بيسوع لدرجة أنَّهم أصبحوا يشبهونه. لم يتلقوا دروسًا ولم يخضعوا لامتحان. ناداهم، فتبعوه، عاشوا معه وعلى مقربة منه في كلّ اللحظات.

الربّ حاضر للقاء، لديه طُرُقه الخاصة ليلتقي بكلّ واحد منّا: عبر الصلاة، التأمّل، الصلاة القلبيَّة، قراءة الكلمة، الأسرار، القداس، الطبيعة، الأعمال الفنيّة، الأيقونات. وفي اجتماعات فِرقتنا، في "واجب المجالسة"... هل نحن مستعدّون للقائه؟

كتبت القديسة تريزا من ليزيو لأختها التي كانت تتخبط في حياتها الروحيَّة: " تحاولين صعود جبل القداسة، لكنّ الله يريد أن يلتقيك في الأسفل، في وادي التواضع الخصب ". أنا مدعو لأفهم أنَّ الله لا يريد أن يلتقي بي على الجبل الخياليّ، على شبكات التواصل الإجتماعيّ، حيث أبتسم ابتسامة عريضة، ولا في أحلامي، بل في يوميات حياتي الواقعيَّة، (الأنا الحقيقيَّة). لا يمكننا أن نكون مُستحقّين حبّه، بل يمكننا أن نستقبله. لا يُحبُّني لأنني طيّب، بل لأنَّه هو الطيّب والرحوم. بالمقابل، يمكنني أن أفقد إيماني حين أتوقف عن معاشرته. إنَّ علاقتي الشخصيَّة به، كأيّ رابط صداقة، بحاجة لتتغذى بأوقات اللقاء. أحيانًا أُدرِكُ أنَّه لا يمكنني الإعتماد على قواي الشخصيَّة فحسب، بل على جماعة تُشجِّعني وتسندني. يمكن، لكلِّ واحد منَّا، أن يجد الإيمان من جديد بأخذ موعد مع الله وفتح قلوبنا له.

ماذا عنا نحن المتزوّجين؟

يمكن لعلاقتنا، نحن كزوجين، أن تُفسَد بواسطة "مُلَوِّثات"، يمكنها رويدًا رويدًا وبطريقة ماكرة، أن تؤدِّي إلى سوء الفهم، الكبت والألم. تؤدِّي في النهاية إلى تهديد التناغم في علاقتنا. إكتشافها معًا والتفكير فيها، يمكنهما أن يقودانا إلى سبيل الشفاء منها.

• جوٌّ من الحزن ومن الرتابة في علاقتنا.

• لامبالاة في مواجهة الصعوبات، الأفراح، المصالح المشتركة أو عمل الآخر.

• قلّة كلمات المديح أو نظرات الإعجاب حيال الآخر.

• الصمت، العزلة، فترات " البرودة" في علاقتنا.

• التقليل من لفتات الإهتمام، اللطافة والحنان فيما بيننا.

• الغيرة، الشعور بعدم الأمان.

• مضايقات، مَلامة وأحقاد في الحياة اليوميَّة.

• غياب المشاريع أو النشاطات المُشتركة.

• الشعور بأنَّ طرف آخر، غير شريكنا، يفهمنا أكثر.

• إنتقادات، فظاظة، سُخرية، أمور مُضمَرَة وإهانات.

• هروب مستمر، كلٌّ لوحده أو معًا مثلاً: على الشاشات، تناول الكحول، تعاطي المخدّرات، الإفراط في العمل والرياضة والالتزامات، إلخ

لكن، ليتنا نستلهم من هذه العلاقة الحميمة مع الله، لنبني علاقتنا نحن كزوجين. إنَّ علاقتنا، المؤسَّسة على حبٍّ عميق، تُحاك وتُصان بتلك الإهتمامات الصغيرة اليوميَّة. يمكننا أن نتوقَّف لنفكِّر بالمواقف المُختلفة التي يمكنها أن تجعل الحبّ يكبر بيننا نحن الزوجين وفي عائلتنا. أشكر شريكي على خدمة قدَّمها، حتى لو إنها بدت لي صغيرة وبديهيَّة، نسامح ونطلب السماح، حتى لو كان الأمر يتعلَّق بفظاظة ليست بهذه الخطورة. هذه أمثال قليلة، لكنَّ حياتنا غنيَّة بالكثير غيرها. في الواقع، العرفان بالجميل، المسامحة، الصلاة الزوجيَّة، الحوار حول مشاريعنا وحاجات كلّ واحد منّا... تساهم كلّها في تغذيَة علاقتنا، وفي جعلها عذبة وحيَّة.

"**من فضلك**": إذا قلناها تولِّد اللباقة، اللطف وتجنِّبنا علاقة فيها مُسيطِر وخاضع.

"**شكرًا**": العرفان بالجميل يهدِّىء العلاقة، يعطي قيمة للشريك ويستدعي عطاءً آخرًا.

"**عفوًا**": طلب السماح، يُجَنِّب العلاقة الفساد بسبب أحقاد قديمة.

" **يا ربّ**": الصلاة المشترَكة تقرِّبنا واحدنا من الآخر، وتمحو الصدمات اليوميَّة الصغيرة، وتضفي التناغم على الرغبات.

" **نحن الإثنين**" :إنَّه لأمرٌ أساسيّ أن نأخذ بعض الوقت لنلتقي ونستعيد أنفاسنا.

" **أيَّة حاجات؟**": علينا أن نكتشف معًا حاجات كلّ واحد منَّا، ونُعدِّلها لنصل إلى توازن عادل.

" **أيَّة مشاريع**": يمكن أن يتعلَّق الأمر بمشاريع شخصيَّة لأحدنا أو مشاريع مشتركة. القدرة على التحاور حول مشاريع مستقبليَّة نبنيها معًا، هي مصدر سعادة وازدهار متبادل.

ما يشاركنا به الأب كافاريل

" أحيانًا كثيرة ينهار الحبّ بين الزوجين والعاطفة بين الوالدين تخمد، بالتحديد، لأننا نهمل مسألة صيانتهما وتعميقهما. يتطلَّب حُبُّنا البشريّ لقاءات، تبادل أحاديث، أوقات من الصراحة، وهذا أمر حيويّ. الأمر ذاته بالنسبة إلى حبّ الله، يفنى في روح المسيحيّ الذي لا يعيش كلّ يوم أوقات لقاء مع ربِّه، أوقات تبادل أحاديث، حميمة، يعني أن يصلِّي. هذا لا يقلُّ حيويَّة عن الأمر الأول. ومن يجيبني:" لكن أين تريدني أن أجد الوقت لأصلِّي؟ يدفعني إلى أن أحلم... تكمن المسألة في أن نعرف ما إذا كان الطعام أمرًا حيويًا، كذلك المسألة هي أن نعرف ما إذا كانت الصلاة حيويَّة".

يمكننا أن نصغي إلى ما يقوله Nouwen في كتابه عن حضور يسوع الذي يستجوبنا:

"على طريق عمَّاوس، يصبح يسوع حاضرًا بكلمته، وهذا الحضور هو الذي حوَّل الحزن إلى فرح، والحداد إلى رقصة. هذا ما يحصل في كلّ إفخارستيًّا. تريد الكلمات المقروءة والمُعلَنة أن تقودنا إلى الحضور الإلهيّ، وأن تُغيِّر حياتنا. لكن تكمن قوّة تلك الكلمات، لا في الطريقة التي نطبِّقها بها بعد أن نسمعها، بل في القدرة الإلهيَّة بالتغيير الذي يحصل حين نسمعها." (نوين ص. ٤٩)

شهادة حياة

الأب: بعد مرور خمس سنوات على زواجنا، رُزِقنا بطفلنا الثاني، صبيٌّ سمَّيناه جلال. إكتشفنا أنَّ نموّه بطيء بعد عمر الستة أشهر. كان طبيب الأطفال قد حذَّرنا، أثناء المعاينة الدوريَّة، أنَّ الطفل لديه تأخّر في النموّ، مع أنّه في الظاهر، يبدو طفلاً طبيعيًّا، لكن تصرّفاته ونموّه أبطأ من طفل بعمر الستة أشهر، وعلينا الإنتظار حتى نتمكَّن من إجراء تخطيط بالرنين المغناطيسيّ، حتى يبلغ السنة.

الأم: نصحنا الطبيب البدء بعلاجات متخصِّصة، سيحتاج إليها طوال حياته، لا سيَّما العلاج النفسيّ الحركيّ، والعلاج الطبيعي، والعلاج بالتشغيل وعلاج النطق.

حين أصبح جلال في شهره التاسع، بدأنا بجلسات العلاج النفسيّ الحركيّ. وفي عمر السنة، أجرينا له التخطيط بالرنين المغناطيسيّ كما كان مُنتَظَرًا.

على أثر نتيجة هذا التخطيط، كنَّا كلينا تحت الصدمة، إذ كانت المشاعر التي شعرت بها ممزوجة بين الحزن والغضب، الغضب تجاه الله، بين القلق والشك...كان لديَّ كمًّا من الأسئلة وكانت لديَّ مآخذ شخصيَّة: ما الخطيئة التي اقترفتها حتى يكون لديَّ طفل في هذه الحالة؟ كنت في حالة إحباط، وحالة رفض، لمدَّة طويلة من حياتي، كلّ ما كنت أستطيع القيام به مع جلال، هو أن أصطحبه إلى الأطباء وإلى مراكز لمتابعة العلاجات المختلفة. أكَّد لنا الطبيب، أنّ لا شيء يمكننا القيام به سوى إخضاعه لتلك العلاجات. مع العلم أنَّه كان من الصعب إيجاد أطبَّاء ماهرين ومراكز مُتخِصّصة، قريبة من منزلنا. مع الوقت، بدأتُ أحسُّ بشعور القلق حيال ابنتي صوفي، التي كانت تكبر. أحيانًا، كنت حاضرة وغائبة، أحاول قدر المستطاع أن أكون معها، على الأقل عقليًا.

ما ساعدني أيضًا على تخطّي هذه المرحلة من حياتي، كان التزامنا في فرق السيّدة. أثناء الفترة التي اكتشفنا فيها وضع جلال، كنت أجد صعوبة في مواجهة العالم. لم أخبر أحدًا بالأمر حتى أعضاء الفرقة. كان يصعب عليَّ تقبّله أمام الناس، فقط لأنّي كنت أخشى نظرات الشفقة، التي شعرت بأنها ستدمِّرني لدرجة أنَّه في أحد اجتماعات فرقتنا، رفضت التحدّث عن الموضوع، لكن فجأة شعرت أني مرتاحة وفتحت قلبي للمجموعة، وأخبرتهم عن جلال وعن وضعه.

كانت ردّه فعل أعضاء فرقتنا لا توصَف. حملونا في صلواتهم، وما زالوا يصلّون من أجلنا دائمًا، رافقونا حتى وصلنا إلى حالة من الهدوء وأمضينا عدّة أيام بسلام. كان هذا الشعور جميلاً، وهذا أمر أريد أن أشهد به حتى يعرف الجميع، إلى أيَّة درجة كانت فرق السيّدة ولا تزال تشكِّل جزءًا مُكَمِّلاً من حياتنا.

الأب : حين اكتشفنا حالة جلال، عشنا فترة صعبة للغاية، نحن كزوجين وكعائلة. أنا شخصيًا كأب، لا أنكر أنّي فكَّرت بالأسئلة ذاتها وأحسست بالمشاعر ذاتها التي شعرت بها زوجتي. الحزن، الإحباط، خيبة الأمل والقلق... وتساءلت: أين أخطأنا حتى يحدث معنا أمرٌ كهذا؟ كيف سنهتمّ بجلال؟ هل سيكون صبيًا كالآخرين في المستقبل؟ ما الرعاية التي سيحتاجها؟ من سيساعدنا؟ هل نحن قادران على مساعدته ليكبر طوال حياته؟ بالإضافة إلى ذلك، أخبرنا الأطبّاء أنَّه سيبقى على هذه الحالة لفترة طويلة. أدركتُ أنّ الحياة ليست عادلة، ولم نكن نعرف من أين سنأتي بالقوَّة لنستمرّ. كنتُ أقول دائمًا لزوجتي: لنفعل ما يجب علينا فعله، لنرافقه في فترة علاجه، لنهتمّ به، ونحبّه إلى أقصى

حدود، لِنوازن الانتباه بينه وبين أخته ولنتّكل على الربّ. سوف يساعدنا الله بالتأكيد. نحن نثق بالربّ لأنَّه حاضر دائمًا إلى جانبنا.

كنتُ مضطرًا لمساعدة زوجتي على تخطّي الأزمة التي تجتازها، أردنا إنجاب طفل ثالث، لكن صعوبة الوضع، لم تكن تسمح لزوجتي بالتفكير بهذا الأمر، ولي أنا بالتحدّث به. اكتشفنا فيما بعد، أنّ الربّ بالفعل كان حاضرًا ويمشي معنا من دون أن نشعر بحضوره. كان يعمل بطريقة عجيبة، كان يعطينا الدعم اللازم

والقوّة حتى نتمكّن من قبول حالة جلال الصحيَّة والأخذ على عاتقنا متابعته الطبيَّة. دعونا لا ننسى الصعوبات الماليَّة التي ترافق حالة كهذه. كانت تكلفة العلاج باهظة الثمن، لكن كانت الأمور تُحَلّ بطريقة عجيبة.

لاحظنا أيضًا أنّه حين يمرّ أحدنا بحالة عاطفيَّة أو روحيَّة صعبة، كان الشريك، بمعونة الله، يسير معه على نفس الطريق، كنا نحظى دائمًا بالسلام والشجاعة، استطعنا إذًا أن نستمرّ معًا بمرافقة جلال. ما فعلناه بالأمس، نفعله اليوم، وسوف نفعله غدًا إلى النهاية. لقد خاضت العائلة كلّها التجربة، لكن هذه الخبرة علَّمتنا أن نعيش الحبّ بطريقة أفضل في عائلتنا، ودفعتنا لأن نُدرك أنَّ الحبّ غير المشروط أهمّ من المشكلة بحدّ ذاتها. كلّ مرّة نحبّ أكثر، يشعّ العطاء والفرح في قلوبنا.

ريم و مجد

لنصلِّ معًا من المزامير (المزمور ٢٣، نشيد داوود)

الربُّ راعيَّ فما من شيء يعوزني

في مراعٍ نضيرةٍ يُريحني

مياهُ الراحةِ يوردني ويُنعِشُ نفسي

وإلى سُبُلِ البرِّ يَهديني إكرامًا لاسمه

إنِّي ولو سِرتُ في وادي الظُّلُمات، لا أخاف سوءًا لأنَّك معي.

عصاك وعُكازك يُسكِّنان روعي.

تُعِدُّ مائدةً أمامي تُجاه مضايقيَّ

وبالزيت تُطيّبُ رأسي فتفيضُ كأسي

الخيرُ والرحمةُ يُلازماني جميعَ أيامِ حياتي، وسُكنايَ في بيتِ الربِّ طَوالَ أيَّامي.

أسئلة للمناقشة بين الزوجين

١– هل نُدرك أهميّة الاهتمام بعلاقتنا كزوجين والعناية بنوعيتها؟ ما هي الخطوات الملموسة التي يمكننا القيام بها من أجل إنسجام أفضل؟

٢– كيف يمكننا أن نتعاون فيما بيننا لتعميق علاقتنا بالله وإعطائه مكانًا أوسع في حياتنا، في قراراتنا وتوجّهاتنا؟

أسئلة للمناقشة في اجتماع الفرقة

١– تقديم شهادة حياة شخصيَّة أو زوجيَّة عن لقاء شخصيّ مع المسيح على دروب حياتنا. هل نحن متنبِّهين لعلامات حضوره ولزيارته حين يأتي للقائنا؟

٢– ما التغيير الذي نحن مدعوّين لنعيشه إثر لقائنا به؟ ما هي ثمار تحوّلنا، التي نحن مستعدون لمشاركتها مع الآخرين؟

الفصل الرابع

قلوب مُضطربة

نكتشف في هذا الفصل الحيرة والضياع في مسيرتنا الإيمانيَّة، في صلاتنا، في علاقتنا مع الله، ونكتشف مسيرة إنفتاح على حضوره الخفيّ في قلب حياتنا.

" فقال لهما: "ما هي؟" قالا له: " ما يختصُّ بيسوع الناصريّ، كان نبيًّا مُقتدرًا على العمل والقول عند الله والشعب كلِّه، كيف أسلَمَه عُظماء كهنتنا ورؤساؤنا ليُحكَم عليه بالموت، وكيف صلبوه. وكنّا نحن نرجو أنَّه هو الذي سيفتدي إسرائيل. ومع ذلك كلّه فهذا هو اليوم الثالث مُذ جرت تلك الأمور. غير أنَّ نسوة منّا قد حيرننا، فإنَّهنَّ بكَّرنَّ إلى القبر فلم يجدنَّ جثمانه، فرجعنَ وقلنَ إنهنَّ أبصرنَ في رؤيةٍ ملائكة قالوا إنَّه حيّ. فذهب بعضُ أصحابنا إلى القبر، فوجدوا الحال على ما قالت النسوة. أمَّا هو فلم يروه." (لوقا ٢٤، ١٩- ٢٤)

نعود إلى طريق عمَّاوس لملاقاة التلميذين. هدفنا بالتأكيد، عيش اختبار روحيٍّ يساعدنا لنكبر بالإيمان، على الصعيد الشخصيّ وكزوجين. نسير على دروب حياتنا، وأحيانًا يكون لدينا الإنطباع بأننا نسير في الفراغ مُشَوَّشين، أو على الأقل، أننا نسير في الريبة. مع كلّ ما نحمله في قلوبنا، في عائلاتنا، في علاقاتنا... نشعر أحيانًا أنَّه يصعب علينا أن نفهم المعنى العميق للأمور التي تُحيك حياتنا وحياة العالم.

لنتأمَّل بطريقة يسوع التربويَّة، التي لا يمكن اعتبارها إعتباطيَّة. بعد أن أخذ الوقت الكافي لملاقاة التلميذين، والإشتراك بيوميّاتهما – المسيرة– ها هو الآن يرغب في أن يضعهما في خضمّ القصة. يُطلق الحوار من جديد ويطرح عليهما هذا السؤال: " أيَّة أحداث؟" يدعوهما ليسردا ما حدث. في بادىء الأمر ليعيشا الأحداث ثم بعدها ليتحدَّثا عنها. يبدو كما لو أنَّ يسوع يحثّهما على ترتيب أفكارهما، إختيار الكلمات المناسبة، وتنظيمها... وهذا بالتحديد ما قاما به. باشرا بالإجابة على سؤاله. ماذا أخبرا؟ ماذا قيلَ عن يسوع؟ بأيَّة طريقة اشتركا في النص الذي طرحاه؟ يمكننا اختيار بعض الكلمات:

يسوع الناصريّ: يتعلَّق الأمر بشخص معروف، مُحَدَّد مكانه في التاريخ. شخص ربّما عاشوا معه سنين عديدة.

نبيّ مقتدر على العمل والقول عند الله والشعب كلّه: إذًا لم يكن يُعتَبَر كرجل عاديّ، كالآخرين. كانا شاهدين على تعليمه، على أعمال يديه التي قدَّمت التعزية والشفاء الداخليّ للنفوس والأجساد الضعيفة إثرَ الإعاقات والأمراض المُختلفة.

عظماء كهنتنا ورؤساؤنا: هنا يظهر تورطهما في القصة، يتعلَّق الأمر برؤساء شعبهما...ويسردان النص الكامل عن الآلام والموت، بدون تفاصيل، لكن يذكران كلّ الفظاعة الحاصلة. كانا يأملان أن يكون يسوع مُحَرِّرهم، ذاك الذي يقطع نير الإحتلال ويعيد سيادة اسرائيل ومجدها. مسيح بشريٌّ بالكامل. فكانت خيبة الأمل بمستوى الأمل المُنتظر.

فهذا هو اليوم الثالث مذ جرت تلك الأمور : ثلاثة أيام، هي الوقت الكافي ليعمل الموت عمله. لا يمكن اعتبار الشخص ميت حقًا إلاّ بعد انقضاء ثلاثة أيام. يبدو هذا التنويه جوهريًّا لنفهم أنّه، قبل فرحة عيد الفصح، هناك النهاية التي يدلّ عليها الموت.

سرد التلميذان قصّتهما الخاصة بشكل جيّد من دون أن يعلما، دخلا بعلاقة مع هذا الغريب، في الواقع، لأنَّ هذا الأخير قد طرح عليهما سؤالاً وأراد أن يصغي إليهما. لقد جسَّدت كلماتهما ما عاشاه على الصعيد العاطفيّ، كبتهما، إرتباكهما، وخوفهما العميق الذي أخفياه خلف خيبة أمل كبيرة. ويسوع العالم بأسرار قلب الإنسان (مزمور ٤٤، ٢١)، كان بحاجة ليسمع كلماتهما، ويعرف إدراكهما للأمور، وجعهما، مرارتهما... أليس هذا بالأمر الغريب؟ كان يسوع يعرف كلّ شيء! هو الذي كان في قلب كلّ تلك الأحداث، ما الفائدة من سؤالهما عن الأحداث التي حصلت؟

إله يستجوِب

حين نتعمَّق بالكتاب المقدَّس، نلاحظ أنَّ الله نفسه يطرح الأسئلة أحيانًا ويستجوب الأشخاص. في جنَّة عدن، سأل الله آدم عن مكانه وماذا يفعل (تك ٣، ٩-١١). في الصحراء، سأل الله موسى ماذا يحمل في يديه (خر٤، ٢). كذلك، تجعلنا الأناجيل نكتشف يسوع في حوار دائم مع رجال ونساء مثلنا، أمَّهات، رجال، أرامل، مرضى، عميان... يهتمّ بكلِّ ما يتعلَّق بنا ويطلب منَّا كلمة. يمكن لأسئلته أن تقودنا إلى اكتشاف جديد، حتى ربّما إلى تحقيق رغباتنا الأعمق، ما نرغب به حقًا.

إله يُقدِّم ذاته

يطرح علينا يسوع أسئلة لندخل في علاقة حبّ معه. هدفه ليس إلقاء خطابات أخلاقيَّة، أو طرح قانون أو مبادىء. حين يتناقش معنا، يتكلَّم قليلاً لكن ليس لمجرَّد الكلام. يعرف قيمة الكلمات ويعرف كيف يوفّرها. لا يتعلَّق الأمر بخطابات طويلة، بل بكلمات عميقة ولها مغذىً. بإصغائه العطوف، يرغب بالتعرّف علينا بدون شك، لكنَّه أيضًا يرغب بدعوتنا للدخول في شركة عميقة معه. يريد أن يتعرَّف علينا ويُعرّفِنا على ذاته. يتعلَّق الأمر بديناميَّة علائقيَّة متبادلة.

إله يُحرِّر

بطرحه السؤال، أعطى يسوع تلميذيّ عمَّاوس الحريَّة بسرد القصة الخاصة بهما، إنطلاقًا من تجربتهما وواقعهما. هذه الكلمات التي عبَّرا عنها، تصبح حاملة لبيئتهما الداخليَّة، لمشاعرهما، رغباتهما، آمالهما وأحلامهما. هذا التعبير عن كيانهما الداخلي، يسمح لهما بالإنفتاح على ما هو جديد، على آفاق القيامة. تُقدِّم الكلمة تأثيرًا مُحَرِّرًا. إذا ما ترجما ما عاشاه بكلمات، يمكن أن يهدِّىءهذا الأمر من قلقهما، ويعيد تنظيم الأفكار في الأذهان، وخلق مساحة جديدة لاستقبال نور جديد.

إله يدعو

يقيم يسوع حوارًا ليتواصل مع الأشخاص. يعرف قيمة مُحاوره كشريك في العلاقة، في جوّ من الإحترام لكرامته، بصفته شخص قادر على قبول عطيَّة الرجاء والقيام بدوره كشريك في العمل. دعوة للمشاركة في سرّ القيامة.

إذًا وبالتاكيد، فالأسئلة التي يطرحها يسوع لا تهدف إلى الحصول على معلومات. الله أبّ، يستعمل اللغة ليُعلِّم في إطار علاقة. كمُعلِّم، يستخدم الأسئلة ليدعونا إلى التفكير ويوجِّهنا نحو الحقيقة. يطرح سؤالاً، ليس لأنَّه لا يعرف الجواب، بل لأنَّه يريدنا أن نعرفه نحن.

كلّ واحد منَّا اليوم ... مدعوّ للتواصل

أشعر في بعض الأحيان أنّني ضللتُ الطريق، تبدو خطواتي غير واثقة، لا أعرف بالتحديد بمن أثق... لديّ انطباع أنّي أدور حول نفسي، عالقٌ في طريق مسدود، لا أفهم معنى الأحداث في حياتي. تردّد، حيرة، إحباط، خوف

من المستقبل، كلّها مشاعر مُزعجة، كعاصفة داخليَّة، تطرد السلام من قلبي. أين أجد ملاذي؟ كيف أستعيد فرح الحياة؟

والربّ يعرف قلبي المُضطرب. ها هو يقترب منّي ويسألني عمَّا يُزعجني. تمامًا كما فعل مع التلميذين على طريق عمَّاوس. هل أنا حاضر لأصغي إليه حين يطرح عليَّ سؤالاً؟ هل أنا جاهز للدخول في حوار معه، للتعبير بحريَّة، بكلماتي الخاصة عمَّا يقلقني؟ تُوَجَّه إليَّ اليوم دعوة جديدة، أقف إلى جانب هذين التلميذين وأسرد القصة الخاصة بي. أضع بين يديه ما يُثقل كاهلي، واثقًا بأنَّه يسير إلى جانبي وأنّه يصغي إليَّ. هل أستطيع اليوم التوجّه إلى الله بكلمات داوود في المزمور ١٣٩: يا ربّ قد سبرتني فعرفتني... فطنتَ من بعيد لأفكاري... من وراء ومن قدَّام طوَّقتني، وجعلت عليَّ يدك... أين أذهب من روحك وأين أهرب من وجهك؟"

يمكن للذين يؤمنون بيسوع أن يكونوا بسلام بالرغم من عدم اليقين في الحياة، لأنّهم متأكدِّين أنَّ أباهم يحبّ أبناءه ويهتم بحاجاتهم (متى ٦، ٢٥– ٣٤). يمكننا أن نقدّم له كلّ ما يقلقنا، بكلّ امتنان، عالمين أنَّه سيلبّي كلَّ حاجاتنا ويمنحنا السلام (فل ٤، ٦–٧). " فإنَّ سلام الله الذي يفوق كلّ إدراكٍ يحفظ قلوبكم وأذهانكم في المسيح يسوع"، هذا ما يقوله لنا الرسول بولس (الآية ٧) والقول أنَّ سلام المسيح يفوق كلّ إدراك، يكشف عدم قدرتنا على تفسير ذلك، أو حتى اختباره بما أنَّ هذا السلام يحفظ قلبنا وعقلنا. يأتي سلامنا من اليقين بأنَّ الربّ يحبّنا وهو يتحكَّم بحياتنا. إنّه الوحيد القادر على توفير التعزية اللازمة لنا ويهدّئنا، يملأنا بالأمل ويريحنا حتى في قلب التغيير والتحدّيات. هل نحن مستعدّون للإنطلاق في مغامرة الحبّ هذه، لننفتح على قلب ذاك الذي ينتظرنا والذي أحبّنا منذ الأزل؟ هل نحن مستعدّون لنُجدِّد كلّ يوم إرادتنا ونتوجَّه إلى يسوع كما نفعل مع صديقٍ ما؟

حياتنا نحن الزوجين

إنّ تعلُّم التواصل مع الله، يساعدنا لنتواصل بطريقة أفضل مع شريكنا وفي العائلة. يُعتبر التواصل الحقيقيّ والصادق أساسًا جوهريًا في حياة الزوجين. يتعلّق الأمر بفنٍّ يُكتَسَب مع الوقت. إذا ما قلنا أنَّ التواصل هو مهمَّة سهلة ويحدث تلقائيًا بدون مجهود، فهذا الأمر سيبدو لكثيرين منّا، وهمًا أو سرابًا، لأنَّ التوترات تحدث بين كلّ الأزواج. لا يمكن أن يحصل التواصل بدون طرح تحديات على أنواعها، لكنّه ليس بالأمر المستحيل بما أنَّ الأمر يتعلَّق بتعلّم يحصل بدافع الحبّ وعن قناعة. السعادة بين الزوجين تتحقّق بورشة عمل دائمة، يتمّ بناؤها بقوّة الإرادة وقول الحقيقة. التواصل بين الزوجين لا ينحصر بالتحدّث عن الأحداث، بل عمّا نشعر به في هذا الموقف أو ذاك. حين يفتح الشريكان قلبهما

الواحد للآخر، يسمح لهما الحوار بالتعرّف على النّفس وعلى الآخر كما هو. وهذا ما يقوّي الحبّ الزوجيّ. فضلاً عن الاعتراف بضعفنا، بمخاوفنا، بمحدوديتنا، وخاصةً بأنَّنا مقبولين ومحبوبين بالرغم من كلّ شيء، فهذا مصدر فرح عظيم في الحياة المشتركة. يُجدِّد التواصل الإزدهار الشخصي لكلّ من الشريكين، كذلك نموّهما معًا كزوجين، ككيان يستحقّ العناية من أجل التوجّه بالملء نحو القداسة. نملك جميعًا الحاجة الحيويَّة لعيش الإنسجام والإزدهار بالملء، وهذه الحاجة هي صحيحة كذلك بالنسبة إلى الزوجين والعائلة.

صلاة من أجل الوقوع في الحبّ من جديد

كان صديقي (صديقتي)، حبيبي (حبيبتي). إنَّه (إنَّها) اليوم أفضل عدوّ لي. بكلّ صراحة لم تقع الحرب بعد، لكن لا يمكن اعتبارنا في سلام. إنَّه (إنَّها) دائمًا على مسافة قريبة، في غرفة الإستقبال، على المائدة وفي السرير. مواقفه، حركاته وكلماته تُظهر للمرّة الألف مدى إزعاجي. لا يفهم أنَّ ما يجده تافهًا يثير غضبي. كيف أقول له هذا؟

يمكنك أن تفعل هذا أنت يا ربّ، أنتَ الساكن في قلبه.

هدِّء يا ربّ قلبي، لا أستطيع الإنتظار حتى يتغيَّر الوضع. أظهر لي نصيبي من المسؤوليَّة في صعوباتي في حبّ شريكي. وإذا عَرفتُ كيف أتغلَّب على المرارة التي في قلبي، هل سيكبر حبّي له ويصبح أقوى؟

إنّه لأمر ضروريّ التعرّف على انتظارات شريكي، حتى نبقى متحدّين برباط الزواج.

أنا بحاجة لتكون نظرتي إليه نظرة ثقة لا نظرة حذر، نظرة مسامحة لا نظرة شكّ، نظرة إيمان لا نظرة قلق.

غَيِّر قلبي وقلب شريكي حتى نتمكَّن من تذوّق الفرح الذي وعدتنا به.

حَوِّل قلبي حتى أستقبله من جديد. تعال وبارك شريكي. آمين.

العالم حيث نعيش

في الوقت الذي كنّا نكتب فيه هذا الموضوع، لم يتوقّفوا في نشرات الأخبار عن التحدّث عن الشرّ المستمرّ بأوجه مختلفة: عنف، إرهاب، حروب، قتل، دمار، فساد، إنتهاك حقوق الإنسان واحتقار لتطلّعاته الشرعيَّة: في أوكرانيا، في الأراضي المقدَّسة، في لبنان، في الأرجنتين، في السودان، في هايتي، في ميانمار... وأماكن أخرى كثيرة من أصقاع

الأرض، حيث يعيشون خيبة أمل تلميذيّ عمَّاوس: خيبة أمل لرؤية قوّة الشر تسود، ويد الموت تدمِّر الحياة. يمكننا أن نغمض أعيننا عن هذا إذا كنّا بعيدين، ونقول لأنفسنا أنّ الأمر لا يعنينا، وهكذا نقع في فخّ اللامبالاة. أو إذا ما تأثّرنا بما يحدث حولنا، نقع في فخّ التشاؤم والانهيار. يُطلق عالمنا اليوم صرخات ألم في كلّ مكان تقريبًا. كيف لنا أن نحيي من جديد في قلوبنا، نور الرجاء الذي يؤمن بقوّة الحياة والقيامة؟ هل يمكننا أن نؤمن بعمق بقوّة الحبّ العجيبة التي تعطي التعزية، الحنان والتعاطف... هل يمكن لأيدينا، أعيننا، كلماتنا وحركاتنا...، مهما كانت متواضعة، أن تكون بذور جديدة لحياة، بحيث تشترك في خلق عالم جديد؟ هل نتجرّأ على الانفتاح على الرجاء؟

ما يشاركنا به الأب كافاريل عن جمال الزوجين المسيحيين

"يقول الله: أيّها الزوجان المسيحيّان، أنتما فخري وأملي" حين خلقتُ السماء والأرض، وفي السماء الأنوار العظام، رأيتُ في مخلوقاتي آذار كمالاتي، فوجدت أنّ ذلك حسنٌ. حين غطّيتُ الأرض بمعطفها الكبير من الحقول والغابات، وجدت ذلك حسنٌ. حين خلقت الحيوانات التي لا تُحصى بشتى أنواعها، وتأمَّلت بهذه الكائنات الحيَّة وكأنَّها إنعكاس لحياتي الفائضة، وجدت أنّ هذا حسنٌ. من كلّ خلقي عَلَت ترنيمة عظيمة مهيبة ومبهجة، تحتفي بمجدي وكمالاتي. ومع ذلك لم أرَ في أيّ مكان صورة ذاك الذي هو حياتي الأكثر سريَّة والأكثر حماسة. استيقظت فيَّ إذًا الحاجة للكشف عن أفضل ما فيَّ: وكان أجمل ابتكاراتي. هكذا خلقت الزوجين البشريين، "على صورتي، كمثالي"، وجدت أنَّ هذا حسنٌ جدًا. في وسط هذا الكون، حيث كلّ خليقة تهجِّيء مجدي وتحتفل بكمالاتي، إنبثق أخيرًا الحبّ، ليكشف عن حبّي. أيّها الزوجان البشريّان، خليقتي المحبوبة، شاهدي المميَّز، هل تفهمان لمَ أنتما الأعزّ على قلبي من بين كلّ المخلوقات؟ أتدركان الأمل العظيم الذي أضعه فيكما؟ أنتما تحملان شهرتي ومجدي، أنتما بالنسبة إلى الكون السبب الأكبر للأمل... لأنكما الحبّ. آمين.

مقتطف من كتاب (نوين) Nouwen

يسوع يسمعنا:

"على مثال المسافرين اللذين عادا إلى ديارهما وهما يبكيان خسارتهما، أتى يسوع للقائهما ومشى معهما، لكنّ أعينهما حُجِبَت عن معرفته. فجأة، لم يعد هناك شخصين بل ثلاثة أشخاص يسيرون، وكلّ شيء أصبح مختلفًا. لا يسير

الصديقان مُطأطئي الرأس، بل أصبحا ينظران في عينيّ الغريب الذي انضمَّ إليهما وسألهما: "ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وأنتما سائران؟ تفاجآ وحتى أنَّهما اضطربا: أنت وحدك لم تعلم ماذا حدث؟

وبدآ بسرد القصة الطويلة، قصة الخسارة، قصة المعلومات الغريبة عن القبر الفارغ. على الأقلّ هناك أحد ما يريد أن يسمع، أحد مستعدّ ليصغي إليهما وهما يتحدّثان عن خيبة أملهما، عن حزنهما وضياعهما الكلِّي. يبدو لهما أنَّ لا شيء له أيّ معنى. لكن من الأفضل إخبار الغريب، من ترداد القصة التي نعرفها، لأنفسنا. (ص ٣٩)

شهادة حياة

شهادة عن حبّ الله ونعمته

بدأت علاقتنا بإيمان قويّ بالله ورغبة باتباع مشيئته. كأيَّة علاقة جديدة، صادفنا صعوبات وواجهنا عدَّة تحدِّيات، خاصة عندما انتقلنا إلى بلد جديد، بعيد عن عائلاتنا وأصدقائنا. حاولنا أن نحافظ على وجود الله في حياتنا من خلال صلواتنا الفرديَّة اليوميَّة وبحضور القداس الإلهي بانتظام كلّ أسبوع، لكنَّنا شعرنا أنَّ الله كان بعيدًا وصامتًا. واجهنا أيضًا صعوبة في التواصل فيما بيننا. كانت مناقشاتنا الصريحة نادرة، لأنَّنا كنَّا منشغلين وعلى عجلة من أمرنا بسبب عملنا ومسؤوليّاتنا اليوميَّة. شعرنا أنَّنا نتباعد ونفقد الرابط الذي كان يجمعنا في ما مضى. اعتقدنا أنَّ الله لم يكن حاضرًا في حياتنا. مع الوقت، ابتعد الواحد عن الآخر. حاولنا بطرقٍ مختلفة تحسين التواصل بيننا، لكنّ الانغلاق وعدم الإصغاء منعانا من تحقيق هذا الأمر. جعل الشكّ والارتباك في طريق إيماننا، علاقتنا مع الله باردة وجافة.

لقاؤنا مع حركة فرق السيّدة

وضع الله، برحمته وعنايته، فرق السيّدة في طريقنا. إنضممنا إلى هذه الفرق، آملين إيجاد المساندة والنصائح المفيدة لزواجنا ولحياتنا الروحيَّة. لم نكن نتوقَّع التغيير الإيجابيّ الذي كان الله قد أعدَّه لنا. من خلال هذه الفِرَق، تعلّمنا ممارسة واجب المجالسة، وقت شهريّ نتشارك فيه أفكارنا، مشاعرنا، أفراحنا، همومنا ومشاكلنا. كما تعلَّمنا أن نصلّي معًا، أن نقرأ كلمة الله ونبحث عن مشيئته. لزمنا بعض الوقت لننفتح ونسمح للشريك بالولوج إلى أفكارنا. في البداية، كنَّا متردِّدين، لكن حين تذكَّرنا أنّ يسوع كان بيننا، أصبحنا أكثر استعدادًا لنصغي، لنتشارك ولنفهم بشكل أفضل. باتّباعنا خطوات واجب المجالسة، لاحظنا تغييرًا إيجابيًا في علاقتنا. أصبحنا أكثر انتباهًا في إصغائنا، في فهمنا وتقديرنا للآخر. أدركنا أنَّ الحبّ ليس مجرَّد مشاعر، لكنه خيار ونوعيَّة تصرّف، إكتشفنا جمال وقوّة سرّ المصالحة،

النعمة والسلام الذي يقدِّمهما لعلاقتنا. كنّا نتلهَّف لنجلس ونتحدَّث لمعرفة المزيد. كان الحبّ دائمًا حاضرًا، لكن ليس بشكل كافٍ. كان واجب المجالسة ضروريًا لتحويل الحبّ من مجرّد شعور إلى تصرّف.

كبرنا بالحبّ وبالإيمان

شعرنا حقيقة بحضور الله المستمرّ في حياتنا. فهمنا أنّه كان يمسك دائمًا بيدنا، طوال فترة سفرنا، لكنَّنا كنّا منشغلين بأمور عدّة، لدرجة أننا كنّا عاجزين عن سماعه والتعرّف إليه. كنّا مُشتتين وصمّ لدرجة أنّنا كنّا عاجزين عن سماع صوته بيننا والتعرّف إليه، كتلميذيّ عمَّاوس. كان الله يكلّمنا دائمًا بطرق مختلفة، لكننا لم نعرفه. كان هو الذي يساعدنا ويرشدنا في قراراتنا وفي مسيرة حياتنا. ينتظرنا الربّ دائمًا على الباب، علينا أن نفتح له حتى يدخل ويملك على حياتنا.

تعلّمنا أن نثق بالله ونعتمد عليه أكثر، أن نضع بين يديه همومنا ومشاكلنا. لقد اختبرنا حبّه ونعمته بطريقة ملموسة، وشعرنا أنَّنا قريبين منه وواحدنا من الآخر. اكتشفنا كيف يمكننا أن ننفتح على حضوره العجيب في قلب حياتنا. نحن الآن مقتنعون أنّ الله هو دائمًا معنا ولديه مخطط وهدف لزواجنا.

لنصلِّ معًا مع القديس شارل دي فوكو (صلاة التسليم)

أبتِ، إنّي أسلِّمُ لكَ ذاتي، فافعل بي ما تشاء، ومهما فعلتَ بي، فأنا شاكرٌ لكَ

إني مستعدٌّ لكلِّ شيء، وأرتضي بكلِّ شيء، ليس لي رغبةٌ أُخرى يا إلهي

سوى أن تَكمُلَ إرادتَكَ فيَّ وفي جميعِ خلائقِك، إنّي أستودعُ روحي بين يديك،

وأهبُها لك يا إلهي، بكلِّ ما في قلبي من الحبّ

لأنّي أُحبُّك، ولأَنَّ الحبَّ يتطلَّبُ مني أن أهبَ نفسي،

أن أودِعَها بين يديك،

من دون مقياس وبثقةٍ لا حدَّ لها،

لأنَّكَ أبي.

أسئلة للمناقشة بين الزوجين

١- كيف نزرع التواصل في حياتنا اليوميَّة؟ هل نحن مُدركون ومتنبّهون لحسناته؟ ولعواقب غيابه؟

٢- حين أتواصل مع شريكي، أكشف عن ذاتي وأجعله يعرفني. هل يمكننا تبادل خبرات عن هذا الموضوع؟ ما كان دور الإصغاء العطوف في هذه الإختبارات؟

أسئلة للمناقشة في اجتماع الفرقة

١- ما هي نوعيَّة التواصل فيما بيننا كأعضاء الفرقة؟ هل نعطي المساحة الكافيَّة للإصغاء والاحترام المتبادل؟

٢ – يمكن لكلّ واحد منّا أن يعيش اختبار شكّ في حياته (الشخصيّة أو الزوجيّة). بأيّة طريقة نحن مستعدّون ليساند أحدنا الآخر لنعيش بالعمق روح العائلة والأخوّة؟

الفصل الخامس

قلوب مُنفتحة على كلمة الله

نكتشف في هذا الفصل إلهًا يكشف عن ذاته من خلال الكتب المقدَّسة. يشجِّع أحدنا الآخر على الإلتزام بالإصغاء لكلمته التي تساعدنا على التعمّق بمعرفة حقيقته وجوهره الذي هو الحب.

فقال لهما: "يا قليلي الفهم وبطيئي القلبِ عن الإيمان بكلِّ ما تكلَّم به الأنبياء. أما كان يجب على المسيح أن يُعاني تلكَ الآلام فيدخلَ في مجدِهِ؟ فبدأ من موسى وجميع الأنبياء يُفسِّر لهما في جميع الكتب ما يختصُّ به". (لوقا ٢٤، ٢٥-٢٧)

لسنين عديدة، كان يسوع يواجه أشخاصًا لا يفهمون من هو حقًا. لكن هذا الأمر لم يُحبطهُ أبدًا. تابع جهوده، وكان قلبه يحترق من الحبّ لكلّ واحد، من أجل خلاص كلّ واحد. لم تكن كلماته تعبِّر عن لاهوت مُعقَّد، بل كانت لغة بسيطة يعبِّر عنها أحيانًا بصور وأمثلة مستوحاة من الحياة اليوميّة. كان يريد أن تصل رسالته مباشرة إلى القلب. ومع ذلك، ها هو يواجه أيضًا هذين التلميذين، اللّذين يبدوان وكأنَّهما لم يسمعا شيئًا ولم يفهما شيئًا مما شاركه مع الجميع، وما أعلنه... توقّفا فحسب عند صدمة إعلان آلامه المُحتَّمة.

كلّ ما حدث مع يسوع يشبه ما حدث مع موسى الذي واجه مصريين قلبهم متحجِّر. حتى يسوع نفسه يُعبِّر عن هذا الأمر في (متى ١٣، ١٣- ١٧):" وإنَّما أكلِّمهم بالأمثال لأنَّهم ينظرون ولا يبصرون، لأنَّهم يسمعون ولا يسمعون، ولا هم يفهمون. وفيهم تتمّ نبوءة أشعيا حيث قال: "تسمعون سماعًا ولا تفهمون، وتنظرون نظرًا ولا تُبصرون. فقد غَلُظَ قلب هذا الشعب وأصمّوا آذانهم وأغمضوا عيونهم لئلاّ يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم".

أمَّا أنتم، فطوبى لعيونكم لأنَّها تبصر، ولآذانكم لأنّها تسمع. الحقّ أقول لكم إنَّ كثيرًا من الأنبياء والصدّيقين تمنّوا أن يروا ما تبصرون فلم يروا، وأن يسمعوا ما تسمعون فلم يسمعوا".

يا قليلي الفهم: هل تعبِّر كلمات يسوع هذه، عن لوم أو إنتقاد...؟ أو بالأحرى هي دعوة لنعترف بمحدوديتنا البشريَّة، وبقصر نظرنا وعدم قدرتنا على إدراك وفهم تدبير الله من تلقاء أنفسنا، من خلال منطقنا البشريّ البحت. إنّها دعوة

لنعترف أنَّه لا نستطيع من خلال أفكارنا ومنطقنا أن نفهم حكمة أبينا وخالقنا، بل من خلال فتح قلوبنا على ما شرحه لنا يسوع.

فسَّر لهما: إنّه يسوع القائم من الموت الذي غلب ظلمات الموت، الذي يفسِّر لهم الكتب. وهذه المرَّة، سينالون عطيَّة الفهم ليفهموا...

بعد ذلك، عند لوقا، ظهر يسوع لتلاميذه، وأراهم يديه ورجليه بما أنَّهم لم يستطيعوا بعد أن يصدِّقوا... أكل أمامهم، ثمّ شرح لهم كلّ ما كان مكتوبًا عنه، كشف لهم عن معنى السرّ الفصحيّ. حدّد لوقا:" فتح أذهانهم ليفهموا الكتب" وينتهي إنجيل القديس لوقا بالوعد الذي أُعطيَ للتلاميذ: "... فامكثوا أنتم في المدينة إلى أن تلبسوا قوَّةً من العلى".

وقت لاستقبال عطيَّة الروح القدس: يكاد يكون مستحيلًا علينا أن ندخل في منطق الله ونفهم في العمق الكتب المقدَّسة، من غير عطيَّة الروح القدس. هذا الروح أُعطِيَ لنا بقيامة ربّنا وهو وحده يستطيع أن يفتح لنا كنوز الكلمة، حتى نستطيع أن نكون في عالم المُعلنين عن هذا الغِنى الذي لا تنضب. "من ذا الذي يستطيع أن يفهم كلّ الغنى الذي تقدِّمه كلمة واحدة من كلماتك، يا ربّ؟ ما نفهمه أقلّ بكثير ممّا نتركه، كأشخاص عطشى يشربون من نبع. إنّ آفاق كلمتك عديدة، وكم هي عديدة توجّهات من يدرسونها. لوَّن الله كلمته بجمالات عديدة، حتى يتسنّى لكلّ من يسبر أغوارها أن يتأمَّل بما يحب. وفي كلمته، أخفى كلّ الكنوز، حتى يجد كلٌّ واحد منّا غنىً في ما يتأمّل به ". (مار أفرام)

دور الروح القدس في تعمّقنا بالكلمة: إن لم نفسح المجال لعمل الروح القدس، فسنبقى محصورين في النص. نحن مدعوون لاكتشاف الجانب المُلهم، الديناميكي والروحي لأيّ نصّ مقدَّس. كما ذكَّر به الرسول "الحرف يميت والروح يُحيي" (٢ قور ٣، ٦). إذًا فالروح القدس يحوّل الكتب إلى كلمة الله الحيَّة، المُعاشة والمنقولة بإيمان شعبه المقدَّس.

يعمل الروح القدس في نفوس الذين يسمعون كلمة الله. صحيح أنّه مع يسوع المسيح، وصل الكشف عن الله إلى كماله، لكن الأروع أيضًا، هو أنَّ الروح القدس يُكمل عمله من خلال حياة كلّ واحد منَّا. لنتذكّر أنّه قبل أن تصبح كلمة الله نصًّا مكتوبًا، كانوا يتناقلونها شفهيًا، وبقيت حيّة بإيمان شعب يعرفها كقصته الخاصة. إذًا فإيماننا مؤسَّس على كلمة حيَّة وليس على مجرَّد نص أو مجرَّد كتاب.

كلّ واحد منّا اليوم...

إنَّ قصة الله إلى جانب شعبه تستمرّ. من العهد القديم الذي يُخبرنا عن مسيرة شعب الله كلّها... إلى العهد الجديد الذي يكشف لنا عن شخص يسوع كأخ لنا، الإبن الوحيد للآب والمخلِّص، كيف لي أن أكون جزءًا من هذه القصة؟ كيف أتلقّى، شخصيًا، كلمة الله في حياتي؟ من الضروري ألاّ ننسى التعليم الذي يأتينا من كتاب الرؤيا، حيث قيل إنَّ الربّ واقف على الباب يقرع. إذا سمع أحد صوته وفتح الباب، يدخل إليه ويتعشّى معه. (رؤ ٣، ٢٠). يسوع المسيح، من خلال الكتب المقدَّسة، يقرع على بابنا، إذا سمعناه وفتحنا له باب إذهاننا وقلوبنا، يدخل إلى حياتنا ويمكث معنا.

يُعرَف القديس شارل دي فوكو بشغفه بمحبوبه يسوع الناصريّ. كان يقضي ساعات في قراءة الكتاب المقدَّس وفي التأمّل. كان يقول لصديقه لويس ماسينيون، في إحدى رسائله: "يجب أن تكون قراءة وإعادة قراءة الكتاب المقدَّس، كالنقطة التي تسقط على بلاطة يومًا بعد يوم، وتنتهي بِترك أثرها عليها. إنّ القراءة المتكرِّرة والمنتظمة للإنجيل، تطبعنا بروح الإنجيل.

كلمة للمستقبل ...وفعّالة ليومنا الحاضر أيَضًا

نعلم أنَّ النصوص المقدَّسة تملك مهمَّة نبويَّة، تتعلَّق بالمستقبل، مثلاً بتذكّر الملكوت الآتي في ملء الزمان، لكن ليس هذا فحسب. تتوجَّه كلمة الله إلينا الآن، في الوقت الحاضر وتُغنينا وتُغذّينا.

<u>كلمة الله كلّها عذوبة</u>: تعطينا فرحًا داخليًا وتعزية. نتذوّق حنان وحبّ الله الآب الشغوف باللقاء بنا في صداقة وحميميَّة علائقيَّة فريدة. هذا هو المصدر العميق لفرحنا. في أوقات التجارب، تجعلنا نُدرك أننا لسنا متروكين، بل محمولين، مسنودين ومُحصَّنِين... ومُخَلَّصين بطريقة عجائبيَّة.

<u>كلمة الله هي أيضًا مرارة</u>: حين نُدرك إلى أيّة درجة يصعب علينا عيش كلمة الله بطريقة مترابطة، وحتى أننا أحيانًا نرفضها حين لا نجدها نافعة لتعطي معنىً لحياتنا.

<u>كلمة الله هي تحدٍّ</u>: إنّها تثيرنا خاصة حين يتعلَّق الأمر بالمحبة. تستدعي كلمة الله دومًا حبّ الآب الرحوم، الذي يطلب من أولاده أن يعيشوا بالمحبَّة. الإقتداء بيسوع في حُنُوِّه، في نظرته المُحِبَّة، وبكلِّ حياته التي هي تعبير كامل وتامّ عن حبّ إلهي يُقدِّم ذاته للجميع بدون تحفّظ. إنّ أحد أكبر التحدّيات في حياتنا اليوم هو أن نصغي إلى الكتب

المقدَّسة وأن ندعها تُغيّرنا لنمارس الرحمة. يكون تلقّي هذه الكلمة كنداء مستمرّ لكلّ واحد منّا ليخرج من الفردانيَّة (التي تقود إلى العقم) نحو المشاركة والتضامن.

حياتنا الزوجيَّة ... من حميميَّة بين اثنين نحو حميميَّة نحن معًا مع الله

التعرَّف أكثر على يسوع هو ثمرة عمل الإرادة لنتآلف مع كلمته، ونصغي إليها أكثر فأكثر. كما لو أنَّنا نريد أن نشبع ظمأنا من نبع لا متناهي ولا ينضب. في حميميَّة علاقتنا معه، بالصلاة والتأمّل في الكتب المقدَّسة، يُعَرِّفنا يسوع على ذاته ويكشف لنا عن وجه أبيه، وأبينا. أن نقرأ، نتعمَّق ونصلّي الكلمة، ننهل من القراءات الروحيَّة، من شهادات القدّيسين، نتعلّم الصلاة التأمليَّة، نقرأ ونتأمّل بالكتاب المقدَّس... هذه وغيرها، كلّها سُبُل تُمَكِّننا من تذوّق عذوبة هذه الكلمة ومدى إلهامها لنا. نُكَرِّس الوقت، كما يفعل المحبوب إلى جانب حبيبته، نستريح مع الكلمة حتى نستقبلها "لما هي عليه في الواقع، لا كلمة إنسان، بل إنّها كلمة الله" (١ تيم ٢،١٣). نحن كزوجين، نُدرك بشكل واقعيّ، أهميَّة الأوقات التي نمضيها معًا. بمجرَّد أن نكون معًا، نشعر أنّنا نقترب الواحد من الآخر. أن نعيش معًا، أمر يختلف عن العيش الواحد إلى جانب الآخر. أن نقوم بأمور معًا، يختلف عن تحمّل عبء القيام بالواجبات والإلتزامات كلّ من جهته. نعطي أهميَّة كبرى لننمّي الحميميَّة فيما بيننا كزوجين، لنحافظ على الحميميَّة الجنسيَّة، لنلعب ونضحك معًا... أمور بغاية الروعة ومصدر فرح لكلينا. لكن هل فكّرنا يومًا كيف نوطِّد حميميّتنا الروحيَّة؟ يدعونا التزامنا في فرق السيدة إلى تبنِّي نقطة جهد ملموسة التي هي "الإصغاء إلى كلمة الله"، والتي تقتضي كلّ يوم قراءة مقطع من الكتاب المقدَّس، خاصة الأناجيل، في جوّ من الهدوء، من الصمت، واستقبال هذه الكلمة كونها تأتي من الله.

إذا فتحنا الكتاب المقدَّس معًا، نحن كزوجين، يكون هذا الأمر وسيلة رائعة لتسهيل الحوار، للتفكير ومن أجل غنانا الروحي. يمكن أن تكون هذه مغامرة، فرصة واختبارًا لننمو معًا، بل أكثر من هذا، لنتجدَّد في حبّنا الواحد للآخر، وفي حبِّنا لله. إنَّ تعميق حميميتنا الروحيَّة، يجعلنا نقترب أحدنا من الآخر ويكون له تأثير عجيب على الشعور بالإتحاد بيننا وعلى الرضى والتوافق.

يمكن لقراءتنا لكلمة الله معًا، أن تقدِّم لنا مساحة لنتحدّث، لنفكِّر ونتعلَّم أن نصلّي معًا. حتى أنَّنا سنتفاجأ إذ نكتشف أنَّه يمكننا أن يكتشف أحدنا الأخر من جديد على ضوء كلمة الله. من المدهش أن نرى إلى أيَّة درجة يمكن لكلمة الله أن تحضر في الوقت المناسب حين نتبع تصميم للقراءة. يعمل الروح القدس دائمًا، على أن نقرأ المقطع المناسب في الوقت المناسب.

"بالنسبة إلى الأزواج، قراءة كلمة الله معًا هي ضرورة" يؤكِّد البابا فرنسيس في إرشاده الرسولي " فرح الحبّ". "إنَّ كلمة الله ليست مجرَّد خبر سار لحياة الأفراد الشخصيَّة، إنَّما هي أيضًا معيار للحكم ونور للتمييز بين مختلف التحديات التي يواجهها الأزواج والعائلات". (فرح الحبّ ٢٢٧)

دعونا لا ننسى أنَّه عند قراءة الكتاب المقدَّس معًا، فهذا لا يعني أن نقوم بسباق مع الوقت (ربما نقرأه معًا مرَّة أو مرّتين في الأسبوع، إذا كان متعذّرًا علينا القيام بهذا يوميًا)، أو بمنافسة (لنتبيَّن من يعرف أو يفهم بشكل أفضل هذا أو ذاك المقطع). يتعلَّق الأمر بالتحديد بالمشاركة بأفكارنا، بمشاعرنا، بتساؤلاتنا... وبوضع أنفسنا معًا تحت نظر ذاك الذي يبارك جهودنا ويستجيب لتطلّعات نفوسنا.

العالم حيث نعيش

إذا نظرنا إلى العالم من حولنا، وإذا فتحنا أذنينا على كلماته، ماذا نرى؟ ماذا نسمع؟ سنجد أنفسنا، بالتأكيد، غارقين بضجيجه وضوضائه. ما هي الكلمات التي يوجّهها إلينا العالم اليوم؟

– يجب أن تكون نجمًا كبيرًا... وإلاّ لن ينظر إليك أحد.

– يجب أن تراكم الثروات، مَبالِغ كبيرة في حسابك المصرفي... وإلاّ لا ضمانة لك للبقاء على قيد الحياة.

– يجب أن تسحق الآخرين حتى تصل أنتَ... وإلاّ سحقوك.

– جَمِّع مُدَّخرات قدر ما تستطيع ... وإلاّ سينقصك كلّ شيء.

– كن حذِرًا من الآخرين... وإلاّ سوف يخونوك.

وكلمات أخرى كثيرة، لا تزرع في قلوبنا إلاّ الخوف، القلق، البغض والحذر. كلمات تصبح محفورة في اللاوعي لدينا لدرجة إنَّها تسلبنا سلامنا الداخليّ، فرح القلب، هدوء الفكر وتتركنا في فراغ عميق، في فوضى.

تواجه كلمة الله العذبة كلمات العالم القاسيَّة هذه.

– أنتَ حبيبي... لك أنتَ، قدَّمتُ حياتي.

– أنتَ إبني الغالي في عينيَّ... أفتح ذراعيَّ واسعًا لأستقبلك.

- أنا أثق بك... إذهب وغيِّر العالم.

- لا تخف من شيء... أنا أحميك.

- أحبّك... لا أرغب إلاّ باستقبال حبّك.

أيّ كلمات لفتت انتباهك؟

كلمة (كلمات) العالم، أم كلمة (كلمات) إلهك؟

ما يشاركنا به الأب كافاريل عن الإصغاء إلى كلمة الله

"الإصغاء إلى كلمة الله، هذا هو التوجّه العام الثاني الذي أقترحه عليكم. التقشّف، بمعنى السير نحو القداسة، يتطلّب البحث عن الله بشكل فعَّال وبمثابرة، خاصة بدراسة الكتاب المقدَّس. لكن هذه الدراسة لا تحتلّ إلاَّ مكانًا صغيرًا للغاية في حياة الزوجين الشخصيَّة، في حياة العائلة وفي حياة الفرقة. يجب من الآن فصاعدًا، تناولها بعزم أكثر. نرى عندها العجائب التي تجترحها كلمة الله، لأنَّها خلاَّقة: تُحيي أولئك الذين ينفتحون على قوّتها الخاصة، وتجعل الفرح يتدفَّق في البيت العائليّ" (الأب كافاريل، في كتابه: فرق السيّدة، إنطلاق ورسالة الأزواج المسيحيين)

في رسائله عن الصلاة، يشدِّد الأب كافاريل كثيرًا على الإصغاء إلى كلمة الله. فيقول:

"أجل، الله يتكلّم. يجب أن نتعلَّم كيفيّة الإصغاء إليه... يتكلَّم الله إلى البشر بطرق شتَّى".

فيحدّد الإصغاء بالتالي: "الإصغاء ليس مجرَّد مسألة تتعلّق بالذكاء. بل بكياننا بأكمله، نفس وقلب، ذكاء وقلب، الخيال، الذاكرة والإرادة، كلّها عليها أن تكون مُتنبِّهة إلى كلمة الله، والإنفتاح عليها، والإفساح لها بالمجال لندعها تجتاحنا وتأسرنا، وتلتصق بنا بدون تحفّظ" (دفاتر عن الصلاة القلبيَّة).

يقول أيضًا: "إن أردنا الإصغاء، فعلينا أن نبدأ بالسماع أوّلًا"

ما يشاركنا به البابا فرنسيس عن مكانة الكتاب المقدَّس في حياتنا

(مقتطفات من عظة البابا في قدّاس "أحد كلمة الله"، في ٢١ كانون الثاني ٢٠٢٤، في بازيليك القديس بطرس)

" ... الكلمة تجذب نحو الله وتُرسل نحو الآخرين. إنّها تجذبنا إلى الله وتُرسلنا إلى الآخرين، هذه هي ديناميتها. لا تتركنا منغلقين على أنفسنا، بل توسِّع قلوبنا، وتجعلنا نعكس المسار، تقلب العادات، وتفتح سيناريوهات جديدة وآفاقًا غير مُتوقّعة...

لا يمكننا أن نستغني عن كلمة الله، أو عن قوّتها الوديعة التي، كما وفي حوار، تلمس القلب، تنطبع في النفس، وتجدِّدها بسلام يسوع الذي يجعلنا نقلق على الآخرين. إذا نظرنا إلى أصدقاء الله وإلى شهود الإنجيل في التاريخ، نرى أنَّ الكلمة كانت حاسمة بالنسبة إليهم جميعًا. لنفكِّر بالراهب الأوّل، القديس أنطونيوس... بالقديس أغسطينوس... بالقديسة تريزا الطفل يسوع إلى القديس فرنسيس الأسيزي... إنّها خبرات حياة غيّرتها كلمة الحياة، بواسطة كلمة الربّ...

لكنّي أتساءل: لماذا لا يحدث الشيء نفسه بالنسبة إلى الكثيرين منّا؟ في أغلب الأحيان نسمع كلمة الله، تدخل من أذن وتخرج من أخرى. لماذا؟ لأنّه، ربما كما يُظهر لنا هؤلاء الشهود، لا يجب أن نكون صمًّا إزاء الكلمة. إنّه الخطر الذي نواجهه: عندما تغمرنا آلاف الكلمات، نسمح لكلمة الله أن تفلت منّا. نسمعها لكنّنا لا نصغي إليها، نصغي إليها لكنَّنا لا نحفظها، نحفظها لكنّنا لا نسمح لها بأن تُحدِثَ فينا تغييرًا. نقرأها بشكل خاص بدون أن نصلّيها، في حين أنّه ينبغي على قراءة الكتاب المقدَّس أن تكون مصحوبة بالصلاة، لكي يقوم الحوار بين الله والإنسان"...

لنعُد إلى الينابيع لنقدّم للعالم ماء الحياة التي لا يجدها، وبينما يُبرز المجتمع ووسائل التواصل الإجتماعي عنف الكلمات، لنتمسّك بوداعة كلمة الله التي تُخلِّص، التي لا تثير أيّة ضجّة وتدخل إلى القلب.

وأخيرًا لنطرح على أنفسنا بعض الأسئلة. أيّ مكانة تحتلّ كلمة الله في المكان حيث أعيش؟ قد يكون هناك كتب، صحف، أجهزة تلفيزيون، هواتف، لكن أين الكتاب المقدَّس؟ هل أحتفظ بالإنجيل في غرفتي في متناول يديّ؟ هل أقرأه كلّ يوم لكي أجد فيه مسار الحياة؟ هل أحمل في حقيبتي إنجيلاً صغيرًا لأقرأه؟ لقد نصحتكم مرّات عديدة أن تحملوا الإنجيل معكم دائمًا، في الجيب، في الحقيبة، في الهاتف المحمول: إذا كان المسيح عزيزًا عليَّ أكثر من أيّ شيء آخر، فكيف يمكنني أن أتركه في المنزل ولا أحمل معي كلمته؟ وسؤال أخير: هل قرأت واحدًا على الأقل من الأناجيل

الأربعة بالكامل؟ الإنجيل هو كتاب الحياة، وهو بسيط وقصير، إلاّ أنّ العديد من المؤمنين لم يقرأوا حتى إنجيلاً واحدًا من البداية إلى النهاية. "

شهادة حياة

" وبينما هو سائر، رأى رجلاً أعمى منذ مولده. فسأله تلاميذه:" رابّي، من خطىء، أهذا أم والداه، حتى وُلِدَ أعمى؟ أجاب يسوع: "لا هذا خطئ ولا والداه، ولكن كان ذلك لتظهر فيه أعمال الله ." (يوحنا ٩، ١–٣)

حين تلقّينا خبر حملي غير المُتوقَّع وأنا في الرابعة والأربعين من العمر، كانت فرحتنا عظيمة تمامًا كالمرات السابقة. كانت عائلتنا مؤلَّفة من خمسة أشخاص، أنا وزوجي، إبنتانا الشابتين في الثامنة عشرة والسابعة عشرة من العمر، وصبيّ بغاية اللطف في الثامنة من عمره. بما أننا كنا ننتمي إلى فرق السيدة منذ سنوات عديدة، كانت صلاتنا الزوجيّة ترتكز على تكريس عائلتنا لقلب يسوع المقدَّس وقلب القديسة مريم البريء من الدنس، لا نطلب سوى قداسة عائلتنا حتى نلتقي ذات يوم متّحدين في منزلنا السماوي الأبديّ.

يوم فحصي بالموجات فوق الصوتيَّة، في الأسبوع التاسع من انقطاع الطمث، عشنا الصدمة الأولى : كانت سماكة عنق الجنين كبيرة جدًا، وهذا لا ينبغي تشخيصه حتى الأسبوع الثاني عشر من الحمل، لكنّ الأمر كان واضحًا بما يكفي حتى لا نهمله. بما أنّي قابلة قانونيَّة، فهمت خطورة الوضع، على الأرجح سيكون طفلنا مُصابًا بمتلازمة داون (trisomique).

كان هذا بداية نزاع. كانت تختلط مشاعر خيبة الأمل مع الشعور بالذنب، لأنّ الحمل في سنّ متقدّمة لا يخلو من المخاطر.

كان يكمن الخلاف في تباعد وجهات النظر بيني وبين زوجي. بالنسبة إليّ، الحياة هي عطيَّة من الله وطفلي بحاجة إليَّ لأحميه. وبما أنّي تعرضت خمس مرّات للإجهاض، كنت أعلم أنّ هذا الحمل محفوف بالمخاطر، لكن طفلي قويٌّ بما يكفي ليتخطاها. بالنسبة إلى زوجي، كان الوضع مأساويًا، كان في حالة رفض. كان يرفض الحقيقة وقبول الحمل ومواجهة محيطه العائليّ والاجتماعيّ بشكل خاص، وماذا سيقولون. كان يخشى إنعكاسات الأمر على عائلتنا، وكان المستقبل يخيفه.

في الأسبوع الرابع عشر، تمَّ أخذ خزعة الأرومة الغاذية للنمط النووي trophoblaste pour le caryotype ، هذا ما أكِّد التشخيص بأنَّ طفلنا هو صبيّ مُصاب بمتلازمة داون. كذلك أظهر الفحص بالموجات فوق الصوتيَّة تشوّهًا مهمًّا في القلب. قال لنا الطبيب النسائيّ إنّ لديه ثقب كبير في القلب. كان جوابي: إلهي هو الأكبر! وللمرَّة الثانيَّة، واجه طفلنا القويّ هذا التحدي، مُتعَرِّضًا لخطر توقف الحمل، وبقيَ حيًا. بدأ زوجي جورج باستشارة كهنة وأساقفة للبحث عن سند، عن شروحات وعن أحد يستطيع دعم وجهة نظره، لكن بالطبع لم يدافع أحد منهم عن قضيته. علمًا بأنَّ الأطباء الثلاثة الذين استشرناهم كانوا مع توقّف الحمل بحجّة أنَّ هذا الطفل لن يعيش، وإذا بقي حيًا، سيكون عبئًا على عائلته وسيعاني كثيرًا. بقي زوجي متردّدًا إلى اليوم الذي كنتُ فيه حازمة وقلت له أننا عابرين فقط على هذه الأرض، وهذه السنوات القليلة التي سنعيشها هنا، سوف نعيشها بحسب مشيئة الله ومخططه لنا. وبما أنّني والدة هذا الطفل، وطالما ما زال في أحشائي، سوف أحميه حتى اللّحظة الأخيرة، حتى لو كان سيولد ليعيش بضع دقائق.

لم يمرّ حملي بدون تعقيدات، عانيت من مرض سكّري الحمل، كان قاسيًا للغاية، لكنّي استطعت المضيّ بالحمل حتى الأسبوع السادس والثلاثين. وُلد شربل، ابننا الصغير قبل الأوان، لكن من جديد، هذا الطفل القويّ المتشبّث بالحياة، أصبح هنا، مع أنّه، خلال التحضير وبينما كنتُ أنتظر دوري لإجراء عمليَّة قيصريَّة، توقّفت نبضات قلب شربل كليًا. ضغطت على زرّ الطوارئ ونُقلتُ فورًا إلى غرفة العمليات. في هذا الوقت

كنت أحمل معي زيتًا مُباركًا من دير قديسنا العظيم شربل، المُسمَّى طبيب السماء، وصغيري شربل يحمل اسمه. رسمت على بطني صليبًا كبيرًا بهذا الزيت العجائبيّ، وطلبت شفاعة مار شربل ليخلِّص طفلي.

جهَّزوني على وجه السرعة لإجراء العمليَّة القيصرية، طلب الطبيب النسائي التحقق من نبضات قلب الطفل للمرة الأخيرة قبل البدء بالعمليَّة، وها هي المعجزة! كان شربل حيًا! عادت تُسمع نبضات قلبه من جديد.

بقي شربل في العناية المركَّزة لحديثي الولادة ٢٥ يومًا. كان يعاني من اليرقان، من مشاكل تخثر الدم، وصعوبات في التغذية. بواسطة صلوات العائلة وصلوات أعضاء فرق السيدة، استطاع شربل تخطّي كلّ تلك العقبات.

في عمر الأربعة أشهر، خضع شربل لعمليّة قلب مفتوح. بحسب الأطباء، كان يجب أن يبقى من ٤ إلى ٥ أيام في العناية المركزَّة، لكن مرَّة جديدة لم تحصل الأمور كما كان مُقدَّرًا، واجه طفلنا البطل عدّة تعقيدات وإصابات بالتهابات جعلته يبقى في العناية المركزّة ٢١ يومًا. طوال مدّة بقائه في المستشفى، كانت تأتي كلّ يوم سيّدات من جماعة الوردية

التي كنتُ أنتمي إليها، إلى المستشفى ويصلّين الوردية، على نيَّة شفاء شربل الذي كان بين الحياة والموت. النتيجة: نجا شربل بعد عمليّة جراحية خطيرة.

كيف لنا ألا نرى بوضوح، بعد كلّ ما عشناه، بأنّ شربل مُرسَل لنا من الربّ إلهنا؟ كان هنا ليحيا. بقي حيًا بفعل الصلاة، المثابرة والحبّ.

حاليًا، يبلغ شربل الخامسة من عمره، إنّه الولد المفضّل لدى والده الذي يكنّ له حبًّا لا حدود له. وخَجَلُ الوالد من مستقبلٍ مجهول لولد مُصاب بمتلازمة داون، تحوَّل إلى فخر أمام شربل، الولد الذكيّ، اللّطيف، المفعَم بالحياة والفرح. شربل هو مصدر الحبّ في عائلتنا. إنّه الركيزة التي تدعم اتحاد كلّ أعضاء العائلة، الذين يجتمعون ليهتمّوا به ويخدموه، إذ بذلك هو يمهّد لنا الطريق نحو القداسة. للربّ طرقه الخاصة ليستجيب لصلواتنا. شربل هو أعجوبة حياتنا.

"اليوم قودي إليَّ النفوس الوديعة والمتواضعة، كذلك نفوس الأطفال، وأودعيها رحمة قلبي. فهي الأكثر شبهًا بقلبي، وقد عزّتني خلال نزاعي المرير. رأيتها كملائكة أرضيَّة تسهر أمام مذابحي. عليها أصبّ سيلاً من النِعَم التي لا يمكن الحصول عليها إلاّ من خلال نفس متواضعة لأني بها أضع ثقتي" (كلمات الربّ يسوع إلى القديسة فوستين).

ريتا وجورج خليل

لنصلِّ مع القديس يوحنا الذهبيّ الفمّ

"يا ربّي يسوع المسيح، إفتح عينيّ قلبي، حتى أتمكَّن من الإصغاء لكلمتك وفهمها، والعمل بمشيئتك، لأنّي غريب على هذه الأرض. لا تُخفي عني وصاياك، إفتح عينيّ حتى أتمكَّن من إدراك روائع قانونك. أخبرني بأمور حكمتك، المخبأة والسريّة.

أضع فيك رجائي، يا إلهي، حتى تنير عقلي وفهمي بأنوار معرفتك، ليس لأحبّ الأمور المكتوبة فحسب، بل لأعمل بها. إجعلني، بقراءة حياة وكلمات القديسين، أنجح في تجنّب الخطيئة، وليساعدني هذا الأمر على ترميم، إنارة وتقديس ذاتي، من أجل خلاص نفسي، لأرث الحياة الأبدية، لأنك النور للذين يعيشون في الظلمة، ومنك يأتي كلّ خير وكلّ عطيّة".

أسئلة للمشاركة بين الزوجين

١- في الحقيقة ما هي مكانة كلمة الله في حياتنا اليوميَّة؟ هل من قرارات جديدة يمكننا أن نُبحر عليها من أجل توطيد حميميتنا الروحيَّة مع الله؟

٢- إلى أيّ تغيير نحن مدعوون أن نصل في علاقتنا نحن كزوجين، على ضوء الإصغاء إلى كلمة الله؟

أسئلة للمشاركة في اجتماع الفرقة

١- هل يمكننا أن نتشارك باختبار روحيّ، حيث لمستنا كلمة الله أو حوّلت قلوبنا، أفكارنا، مواقفنا وأعمالنا؟

٢- ما هو تأثير كلام "العالم" على حياتنا؟ ماذا نعمل لنبقى ثابتين في الثقة في كلمة الله؟

الفصل السادس

قلوب مُتّقدة

في هذا الفصل نسير معًا لنلتقي إلهًا ينتظر دعوتنا ليدخل ويمكث معنا، أثناء الليل، في حميميَّة لا مثيل لها.

"ولمَّا قربوا من القرية التي يقصدانها، تظاهر أنَّه ماضٍ إلى مكان أبعد. فألحَّا عليه، قالا: "أُمكث معنا، فقد حان المساء ومال النهار". فدخل ليمكث معهما". (لوقا ٢٤، ٢٨-٢٩)

يبدو أنّ مسافرَينا قد وصلا إلى المكان الذي يقصدانه. كانت طريقهما طويلة من أورشليم إلى عمَّاوس. قرّرا ترك المكان حيث أُصيبا بخيبة أمل كبيرة، المكان الذي بدا وكأنّ الموت هو المسيطر. قرّرا الهرب، الابتعاد عن الواقع الذي يُحزنهما. أليس هذا واقعًا مألوفًا لكلّ واحد وواحدة منّا؟ ينتابنا شعور بالحاجة إلى الهرب، إلى الابتعاد حين تقسو الحياة وترمي بثقلها علينا، ونحن لم نعد نستطيع التحمّل؟ تصبح خيبة أملنا كبيرة، أحلامنا مُحطَّمة، وعالمنا قد تغيّر، فنضيع عندها ولا نعد نعرف من نكون، إلى أين نذهب، وماذا سنفعل بعدها، أيّ مستقبل ينتظرنا... ردَّة الفعل التي يمكن أن نقوم بها هي الهروب أيضًا، الإنعزال، العودة على أعقابنا. عندها لا يبدو إيماننا حيّ، لماذا لم يستجب يسوع لهذه الصلاة؟ لماذا ما زلتُ في هذه الظروف الصعبة؟

على طريق العودة، يذكِّرنا لوقا الإنجيليّ، أنّه بيسوع، جعل الله نفسه قريبًا من الإنسان وشاركه تاريخه. على دروب حياتنا، يجعل يسوع القائم من الموت من نفسه رفيقنا في السفر. مع أنّه كان يعلِّم التلميذين طويلاً أثناء سفرهما حتى عمَّاوس لكن من دون جدوى، عيناهما ما زالتا مغمضتين. بقيا واقفين عند قصة القبر الفارغ ولا يؤمنان بالأمر. يُخيِّم على ذهنهما، الذي يحارب من دون الوصول إلى فهم ما جرى، الليل الحالك. وهذا الليل أصبح حجَّة مثاليَّة لإبقاء يسوع معهما: "أُمكث معنا، فقد حان المساء ومال النهار".

ألحَّ التلميذان على يسوع ليمكث عندهما، ربّما لأنَّ السفر منفردين ليلاً، يكون محفوفًا بالمخاطر، يمكن أن يصادفا قطّاع طرق أو تهاجمهما حيوانات مفترسة. مع ذلك، حين فُتِحَت أعينهما وعرفا يسوع، عادا إلى أورشليم في الليل! نفهم إذًا أنَّ يسوع انضمَّ إلى التلميذين، ليس عند الليل الذي يحلّ عند نهاية النهار، بل عند ليلهما، في ليل شكّهما وتحفّظهما عن تصديق ما أعلنته الكتب.

في ليل شكّهما وعدم فهمهما، توسَّلا إلى يسوع ليمكث معهما. قبِل يسوع دعوتهما على الفور. إنضمَّ إليهما في كلّ ما لا يفهماه، لكن كان شيئًا قد بدأ يتغيَّر في قلبيهما. وهنا الآن، يدخل ليمكث معهما، يريد أن يبقى معهما. إنطلاقًا من اللّحظة التي استنار بها التلميذان في اللّيل، لم يعد اللّيلُ يسبّب مشكلة بالنسبة إليهما، عادا إلى أورشليم بدون خوف. حين يأتي المسيح لينيرنا في ليلنا الروحيّ، يطرد عنّا القلق والمخاوف الدفينة التي تسكننا، وهذا يسمح لنا أن نقترب من ليل الحياة، ليل التجارب، ونحن نؤمن أنّ الربّ معنا.

يمكن لمسيرتنا الروحيَّة أن تتقاطع مع " ليل إيماننا"

في حياة كلّ مؤمن، بما فيهم المتصوِّفين والقدِّيسين، يمكن لاختبار روحيّ خاص أن يحدث فجأة في فترات من الحياة. كان الكرملي الإسباني جان دي لا كروا، أوّل من استخدم عبارة " ليل النفس الأسود"، يُسمَّى أيضًا " ليل الإيمان" وهي تجربة روحيَّة، حيث لا نعود نشعر بوجود الله لفترة من الزمن في حياتنا.

إختبار متناقض، يمكن أن يحصل مع كلّ المؤمنين، لأنَّنا يمكن أن نعيش غياب الله في أقوى مرحلة من الإيمان. عاش هذا الإختبار عدد كبير من المتصوِّفين والقدِّسين مثل تيريزا من ليزيو، ماري نويل، والأم تيريزا. يُظهر لنا مَثَلَهُنَّ كم أنّ "الحياة المسيحيَّة هي صراع"، وكيف أنّنا نرتاب بشكل خاطئ، بالحبّ الذي يمكننا أن نحمله وبالقدرة الخلاّقة التي هي خاصّتنا والتي لا يجب أن نتخلّى عنها.

كانت ماري نويل تتساءل عن كيفيَّة تحمّل طيبة إله خالق ووجود الشرّ. كانت تتساءل ما إذا كان هناك إله ثانٍ. وعبّرت عن ثورتها بشكل واضح في أشعارها.

بالنسبة إلى الأم تيريزا، حتى الرغبة بالحبّ بدت كأنَّها اختفت. منذ أن تركت ديرها لتكرِّس حياتها لأفقر الفقراء، دخلت في " ليل الحضور". لم تكن تشعر بشيء، لا شعور، لا رضى، لا تأثّر، لا ورع، ولا رغبة بالصلاة. لم يبقَ لها سوى الألم، الذي قدَّمته كالصلاة الوحيدة الممكنة.

في حين أنّ تريز من ليزيو، مرَّت بتطهير عميق أدّى إلى حميميَّة جديدة مع يسوع وإلى اكتشاف "طريقها الصغير" الذي اتبعته لتُحبّ يسوع وتجعل الآخرين يحبّونه.

وعد يسوع:" أنا معكم طول الأيام، حتى انقضاء العالم"

لقد وعدنا يسوع بأنه سيبقى معنا... وهذا الوعد لم يقطعه للرسل فحسب، بل ما زال صالحًا لنا أيضًا اليوم. ما معنى هذا الوعد؟ هل هو تأكيد على حضور يسوع معنا ليشدِّد عزيمتنا ويقوِّينا في الأوقات الصعبة؟ هل يسوع بصدد قطع وعد لنا أنَّنا سنشعر أو نرى حضوره، ربّما بالإستجابة لصلوات أو عجائب؟

في العهد القديم، الربّ هو من يقطع الوعد: "سأكون معك" يقول لأسحق، ليعقوب ولموسى. وفي كلّ مرَّة، يلتزم الله بتحقيق وعده. وعده لنا، من خلال ابنه الحبيب، أن ينجّينا من قوى الشر وأن يقدِّم لنا الحياة الأبديَّة في فرح أبناء الله الآب، أنَّ طريق إيماننا ليس إلاَّ طريقًا يؤدّي إليه بالحبّ. لا شيء يمكن أن يفصلنا عنه ويحرمنا من تحقيق هذا الوعد. يُطلب منّا أمرًا واحدًا، ألا وهو الانفتاح على حضوره.

كلّ واحد منّا اليوم... مدعوّ للإلحاح على يسوع ليبقى

حين نجتاز ليل المِحَن، الشك، الفتور الروحيّ... تواجهنا تساؤلات مؤلمة للغاية، ويصبح درب الإيمان طريقًا طويلة ومريبة، حيث لا نرى شيئًا ولا نفهم شيئًا، نُمتَحَن بالإنطواء على ذواتنا والتخلّي عن كلّ شيء.

حين لا نفهم شيئًا، ونكون عالقين بإيماننا في موقف معيّن، يحضّنا الإنجيل على استدعاء حضور الربّ القائم من الموت. إنَّ حضور المُخلِّص هو القادر على تغذية إيماننا ووضع حدّ لليلنا. علينا أن ندَع الربّ يرافقنا، أن نطالب بحضوره " امكث معنا"، حتى يُشعل حضوره وكلمته قلوبنا وتستنير أذهاننا.

يمكن لريبتنا وأحزاننا أن تمنعانا من فهم وعود الله لنا. لكن، حتى مع هذا، وحتى لو لم نفهم شيئًا، هل يمكننا أن ندع أنفسنا ننقاد بحضوره البسيط؟ شعر التلميذان بشيء قد تغيَّر في داخلهما، لم يفهما شيئًا بعد، لكن كان لديهما ميل، ورغبة في قلبيهما لاستبقاء يسوع معهما، كشخص بدآ باكتشافه وبتقديره ويريدان التعرّف عليه أكثر بعد. وافق يسوع على البقاء وأمضى السهرة معهما.

لا يتغذّى الإيمان بالكلمات فحسب، بل بحضور

هل أقوم بالمبادرة وأدعو الربّ ليمكث معي؟ في أوقات الصلاة، الصلاة القلبيَّة، الصلاة التأمليَّة، عبادة القلب الأقدس.. هل أدع قلبي يرغب ويطلب حضوره؟ أتعلَّم مع تلميذيّ عمَّاوس أن أدعوه، أن أعبِّر له عن رغبتي بألا أكون في عزلة،

بل أن أنفتح على حضوره العجيب، حتى في ليل المِحَن والتجارب، وحتى في ليل الإيمان. إذا كنتُ عاجزًا تمامًا عن الفهم، عن الشعور بحضوره وتدخّله في حياتي... فهذا لا يمنعني من أن أقول له: "أمكث معي يا إلهي... إملأ فراغي من حضورك، وظلماتي بنورك."

أمكث معنا... هذه هي صلاة تلميذيّ عمّاوس

تقدِّم لنا خارطة طريق تلميذيّ عمّاوس نموذجًا وتعزيةً، يساعدانا على اكتشاف حضور الله الذي يسير ويمكث معنا. كانت جدّة تقول لحفيدها الكاهن:" حين تحبّ أحدًا، يكفي أن تردِّد له كلمات بسيطة... يكفي أن تطلب من الله ومن قدِّيسيه أن يمكثوا معنا". هذه كانت حكمة جدَّة في موضوع الصلاة.

جاء نص عمّاوس ليُطمئننا حول اكتشاف أوّل صلاة لفظها هذان التلميذان:" أمكث معنا يا ربّ". يمكننا أن نجعلها صلاتنا. نحن مدعوون لنردِّد هذه الصلاة الإنجيليّة، البسيطة للغاية والعميقة، التي أصبحت صلاة الكنيسة الأولى.

حياتنا نحن الزوجين

في فرقنا ننال نعمة أن نكون معًا لنغتني ونؤكِّد على أنَّ الزواج، إذا ما وجدنا الوسائل الناجعة، هو طريق سعادة ونموّ بالإيمان. نحن مدعوون للقيام بصلاة يوميَّة، للدنوّ من الربّ من خلال قراءة الكتاب المقدَّس بانتظام، إذا أمكن معًا، ومن خلال هذه القراءة نطلب من الربّ أن يمكث معنا.

إنَّ حضور الربّ إلى جانبنا، لا يجنّبنا الصعوبات، وأوقات التعب والإحباط. لا تكمن القداسة في النجاح الدائم ولا في التحرّر من التجارب أيضًا. إنَّ اعترافات أزواج مُكرَّمين مثل لويس وزيلي مارتان، (والديّ القديسة تيريزا من ليزيو)، شارل وزيتا هاسبورغ، فريديريك وإميلي أوزانام... تكشف لنا عن ثلاثة أمور يجب أن نجنيها: نتعلَّم كيف نحبّ، كيف نخدم ونستقبل. يصف البابا فرنسيس هذا الأمر بمسيرة نضوج، يكون فيها كلّ من الزوجين، أداة الله لنموّ الآخر. يصبح التغيير والنموّ وتنميَة الخير، الذي في داخل كلّ إنسان، ممكنًا.

في فرح الحب (٢٢١) يؤكِّد البابا على أنَّ كلّ زواج "هو قصَّة خلاص"، وهذا يفترض الإنطلاق من الهشاشة، التي بفضل هبة من الله والإستجابة الخلاقة والسخيَّة، تُفسِح تدريجيًا المجال لِواقع أكثر صلابة وجمالاً. نحن مدعوون لعيش حياة عاديَّة بطريقة غير عاديَّة، وذلك بأن ننهل من كلمة الله ونفسح لها مكانًا بيننا.

هذه بعض كلمات مُلهِمة لهؤلاء الأزواج عن الحبّ الزوجي

"كنّا دائمًا مُتّفقين في مشاعرنا" (القديسة زيلي مارتان)

"الآن، يجب أن يساعد أحدنا الآخر لنصل إلى السماء" (الطوباوي شارل النمساويّ)

"حياة أرضيَّة، مُعاشة مع فكرة دائمة مُلهَمة من الله نفسه، أن نُسعِد الشخص الذي نحب. هذا هو الزواج" (الطوباويَّة ماريا كواتروتشي)

"الحبّ هو الرغبة في أن نقدِّم الراحة والتعزية والفرح للمحبوب، مع الإنشغال الدائم بإرضاء رغباته الأكثر سريَّة والتي لا يمكن تصوّرها". (الطوباويَّة ماريا كواتروتشي)

"تعرفين يا حبيبتي أنَّ الحياة مدرسة حيث يقوم الله بتربية المسيحيين، في هذه المدرسة تمرّ سنوات مُتعبة، صعبة... لكن تعرفين أيضًا أنَّ المعلِّم طيّب، والدروس ليست إلاّ لتجعلنا أفضل وأكثر كمالاً" (الطوباوي فريديريك أوزانام)

يمكننا أن نفكِّر فرديًا وكزوجين إنطلاقًا من هذا المقتطف من نوين Nowen

يسوع شخص مثير للإهتمام، كلماته كلمات حكمة وحضوره مُريح. لطافته وطيبته تؤثّر فينا في الصميم. رسالته مليئة بالتحدّيات. لكن هل ندعوه إلى منزلنا؟ هل نريد أن يتعلَّم كيف يتعرّف علينا كما نحن بالأساس، خلف جدار حميميتنا؟ هل نريد أن نقدِّمه إلى كلّ من هم عزيزين علينا؟ هل نرغب في أن نراه في حياتنا اليوميَّة؟ هل نسمح له أن يلمسنا في الأماكن الأكثر هشاشة؟ هل نريد أن يزور ماضي بيتنا، والغرف التي نفضّل أن نتركها مقفلة بالمفتاح؟ هل نريد حقاً أن يسكن عندنا حين يحلّ الليل وينقضي النهار؟ (صفحة٦٠)

العالم حيث نعيش

يمكن لحياتنا اليوميَّة، في وسط هذا العالم، أن تبدو متواضعة وخفِيَّة. يمكن للحبّ الذي نكنّه واحدنا للآخر، ولعائلتنا، أن يُعاش بشكل مُتكتّم، بصمت... في حين أنّ حياة العالم تبحث عن الدعاية، النجاح، التصفيق، الأضواء، والتصريحات النرجسيَّة على شبكات التواصل الإجتماعي...

يدعونا إلهنا القائم من الموت أن نمكث معه، وفيه بالحبّ والسلام... في حين أنّ العالم يدعونا إلى البغض والإنقسام، إلى الحرب والدمار، التحيّز مع طرف ضد الآخر... بينما يدعونا إلهنا إلى عيش المحبَّة، يدفعنا العالم إلى عيش اللامبالاة والفردانيَّة.

ما هو موقفنا بالنسبة إلى ما يقترحه العالم علينا؟ هل نؤمن بقيمة المبادرات الصغيرة التي يمكنها أن تغيِّر العالم، وتغيّر وجهه، على صورة الخميرة في العجين؟

ما يشاركنا به الأب كافاريل عن الصلاة القلبيَّة التي هي حميميَّة مع الله الذي ينتظرنا دومًا

ينتابنا شعور بالضيق حين نصل إلى مدينة مجهولة (إلى المرفأ، محطَّة القطار، المطار)، ولا نجد أحدًا بانتظارنا. بالمقابل، إذا ما استقبلَنا وجه بشوش، إذا ما امتدت أيدٍ نحونا للسلام، نشعر على الفور بالارتياح بشكل عجيب، ونتخلَّص من هذا الإنطباع القاسي بأننا تائهين، ضائعين. عندئذٍ لا تهمّنا التقاليد واللغة، وكلّ تلك المدينة الكبيرة التي تُشوّشِنا: نحتمل بشكل جيّد أن نكون غرباء بالنسبة إلى الجميع، في حين أننا أصدقاء بالنسبة إلى شخص ما.

من المريح أن نكتشف بأنّ الذين يستضيفونا كانوا بانتظارنا. أهل وأبناء، ليسوا مُضطرين لقول الكثير حتى نكتشف هذا الأمر: استقبالهم ونوعيَّة الاستقبال تكفي. وهذه الأزهار الموضوعة في غرفتنا، كتاب الفن هذا (لأنَّهم يعرفون ذوقنا)، ينتهي بأن يُقنعنا.

أريد، يا صديقي العزيز، عندما تنوي القيام بالصلاة القلبيَّة، أن تكون لديك دائمًا القناعة بأنّ أحدًا ينتظرك: ينتظرك الآب، والإبن والروح القدس، العائلة الثالوثيّة بأجمعها تنتظرك. بحيث إنَّ مكانك جاهز: تذكَّر في الواقع ماذا قال المسيح: "سأعدّ لكم مكانًا". ربّما تعارضني وتقول أنَّه يقصد السماء. صحيح، لكنّ الصلاة القلبيَّة، بالتحديد، هي السماء، على الأقلّ في واقعها الأساسيّ: حضور الله، حبّ الله، واستقبال الله لإبنه. ينتظرنا الربّ دومًا.

أفضل من هذا بعد: بمجرّد أن نخطو عدَّة خطوات، يأتي للقائنا. هل تذكر المثل:" وكان لم يزل بعيدًا إذ رآه أبوه، فتحرَّكت أحشاؤه وأسرع فألقى بنفسه على عنقه وقبّله طويلاً". بالرغم من أنَّ هذا الإبن قد أساء إلى أبيه بشكل خطير. فهذا لا يمنع أنّه كان مُنتظرًا بشوق كبير. (هنري كافاريل، في حضور الله. مئة رسالة عن الصلاة. رقم ١، أنتم مُنتَظرون)

ما يشاركنا به البابا فرنسيس

في الواقع، إذا كان ربّ السموات قريب، فنحن لسنا لوحدنا على الأرض وحتى في مواجهة الصعوبات، لا نفقد الثقة. هذا أوّل شيء أقوله للناس: الله ليس بعيدًا، إنَّه أب. إنّه يعرفك ويحبّك، يريد أن يمسكك بيدك، حتى عندما تسلك دروبًا وَعِرة وصعبة، حتى عندما تسقط وتجد صعوبة في النهوض وتعود إلى الطريق، هو الربّ، إنَّه معك. أكثر من هذا، أحيانًا، يمكنك أن تشعر بحضوره بشكل أقوى في لحظات الضعف. إنَّه يعرف الطريق، إنَّه معك، إنَّه أبوك! إنَّه أبي! إنّه أبونا!

لنبقَ في هذه الصورة، لأنَّ الإعلان عن أنَّ الله قريب، يعني الدعوة ليعتبر كلّ واحد نفسه كطفل يُمسك بيد أبيه: يبدو كلّ شيء مُختلف. العالم الكبير والغريب، يصبح مألوفًا وآمنًا، لأنَّ الولد يعرف أنَّه مَحميٌّ. لا يشعر بالخوف ويتعلَّم الإنفتاح... الإعلان بأنَّ الله قريب. لكن كيف السبيل إلى هذا؟ يوصي يسوع في الإنجيل، بعدم الإكثار من الكلام، بل بالقيام بالعديد من مبادرات الحبّ والرجاء باسم الربّ، لا كلام كثير بل القيام بأعمال...

لنطرح على أنفسنا بعض الأسئلة: نحن الذين نؤمن بأنَّ الله قريب، هل نثق به؟ هل نعرف كيف ننظر إلى المستقبل بثقة، كطفل يعرف أنّه محمول بين ذراعيّ أبيه؟ هل نعرف كيف نجلس في حضن الآب بالصلاة، بالإصغاء للكلمة، بالتقدّم إلى الأسرار؟ وفي النهاية، حين نتحَّد به بشكل ضيّق، هل نعرف كيف ننقل الشجاعة للآخرين، ونتقرّب من الذين يتألَّمون ويشعرون بالوحدة، وأيضًا نتقرّب من البعيدين وحتى الذين نعتبرهم عدوانيين؟ هذا هو الوجه الواقعيّ للإيمان، هذا ما يهمّ...

شهادة حياة

لمدة خمس سنوات وحتى السنة الماضية، قمت بمهمّة رائعة في فرق السيّدة: المستشار الروحي للفرقة المسؤولة عن المنطقة الكبرى فرنسا- اللوكسمبورغ- سويسرا. أثناء اجتماعاتنا الشهريَّة في باريس، كنا نبدأ بصلاة في الصباح: نصف ساعة من الصلاة القلبيَّة والمشاركة بالصلاة. أستطيع أن أشهد بكلّ صدق بأنَّ هذا الأمر كان مصدر وحدتنا وفرحنا. كانت الصلاة تضعنا في الحالة الأساسيَّة للإصغاء إلى الله ولكلمته، أساس كلّ تمييز. كانت الصلاة المشترَكة الوسيلة الكبرى لنلتقي بعمقٍ، لنخلقَ روحًا مشتركة، لندرك حضور المسيح في وسطنا. ونحن نحتفل بالإفخارستيّا،

نصبح جسد المسيح. في فرقتنا، أخذنا الوقت الكافي لنتعارف. نستفيد من بعض وجبات الطعام لنعيش المشاركة الحياتيَة حول الأحداث التي جرَت خلال الشهر المُنصرم، الأفراح، الأحزان، المشاغل العائليَّة، المهنيَّة والكنسيَّة. كذلك عشنا أوقاتًا من المجانيّة والفرح. في اللقاءات الوطنيّة التي نظّمناها، استطاع المشاركون أن يدركوا الشراكة الأخويَّة والحماس الذي كانا يحرِّكانا. لكن أحيانًا، كان الفرح والسلام مخفيين أكثر... لأننا كنّا متوتّرين بعض الشيء، معتمدين على أنفسنا أكثر من اعتمادنا على الله.

نُبطّىء الخُطى

ردَّد البابا فرنسيس هذه العبارة التي لها قيمة المثل في الإنجيل:" يسير الراعي أمام قطيعه ليدلّه على الإتجاه، يسير خلف القطيع ليشجِّع الأضعف، وليراقب النعجات التي يمكن أن تضيع، ويسير في وسط القطيع ليلتصق به، لأنَّه يُستحسن بالراعي أن تفوح منه رائحة القطيع". السينودسيَّة هي أن نتعلّم السير جنبًا إلى جنب مع الأشخاص الأضعف. شاركت عدَّة مرَّات في الحجّ الأبرشي إلى لورد. تأثّرت كثيرًا بالمسيرة الإفخارستيّة التي يتمَ تنظيمها بعد ظهر كلّ يوم في المزار. حجّاج من كلّ الجنسيَّات، شباب ومُسنّون، أثرياء وفقراء، كلّنا نسير بخطى واحدة. لكن من ينظّم سرعة السير؟ إنّهم إخوتنا وأخواتنا المرضى المحمولين على نقالات أو يجرّونهم على كراسي متنقّلة. في وسط كلّ هؤلاء الناس المجتمعين، نجد الربّ حاضرًا في القربانة المقدَّسة. صورة جميلة للشراكة في الكنيسة!

نتعلّم السير ببطء، بشكل طبيعيّ في العائلة. في عالمنا الذي يريد أن يكون قويًا وفعّالًا، أتأثّر دائمًا حين ألتقي بالعائلات: الأهل الذين يتكيَّفون مع نمط أولادهم الصغار، الأم التي تأخذ الوقت لتتوقّف وتطعم طفلها، الأولاد الكبار يهتمّون بالأصغر، العائلات التي تستقبل طفلاً لديه إعاقة، تتعرّف على الخطوات البطيئة والوقت المجانيّ. علينا تبنّي إيقاع ضمن سلسلة من المبادرات الصغيرة اليوميَّة... بالحبّ الأولويّ للطفل، واستقباله غير المشروط في وقت غير متوقّع، تكون العائلة نموذجًا عن العناية التي يجب على المجتمع بمجمله أن يقدّمه للأشخاص الهشّين. في الفصل التاسع من " فرح الحب" المُكرَّس للروحانيَّة الزوجيَّة والعائليَّة، يقول البابا فرنسيس إنَّها "روحانيَّة الاعتناء والتعزية والتشجيع". ويضيف: "تبقى العائلة دائمًا المستشفى الأقرب" (فرح الحبّ رقم ٣٢١). بحسب الأب هنري كافاريل، إنَّ ممارسة الضيافة هي الرسالة الخاصة بالزوجين والعائلة، بطريقة استقبالهم وشهادتهم. "يرسم الأزواج المسيحيون فوق الجانب الرماديّ من المجال العام ويملؤونه بألوان الأخوّة والوعي الإجتماعي، والدفاع عن الأشخاص الضعفاء، والإيمان المنير، وبالأمل الفعَّال". (فرح الحب ١٨٤)

المرافقة الروحيَّة

في قلب فرق السيّدة، نعيش نعمة الشراكة الحقيقيَّة بين الأزواج الذين جمعهم سرّ الزواج والكهنة المرشدون الروحيون. كان الأب كافاريل يُذكِّر دومًا بتكامل السرّين، الزواج والكهنوت، "هذين السرّين اللّذين يعتمد عليهما نموّ جسد المسيح السريّ". يُتَرجم هذا التكامل بروابط بشريَّة وأخويَّة. يجد كلّ واحد فيه فرح مشاركة النجاحات، التشجيع من أجل المثابرة، التعاطف والراحة في الصعوبات. تكون المشاركة من الجهتين. نحن حرّاس كنوزنا الخاصة. وكما يشاركني الأزواج غِناهم وصعوباتهم في مسيرتهم الروحيَّة، كذلك أشاركهم روائع وتجارب كهنوتي. بالمشاركة بحياة الفرقة، أكون معهم، أب بنعمة سرّ الكهنوت الخاصة، وفي الوقت عينه أخ لهم من بين الإخوة. الفرقة بالنسبة إليّ هي مكان للمشاركة بغاية الأهميَّة، للمساندة، للتوازن وللأنسنة.

إنّ دعوة فرق السيّدة هي تربويّة، تربية على النموّ الروحي، تساعد الأزواج لينهلوا من كنز نعمة سرّ زواجهم. في العام ١٩٨١، شهد الأب هنري كافاريل قائلاً: " لسنوات عديدة، تعبتُ كثيرًا لأحاول أن أفهم بشكل أفضل ماهيَّة سرّ الزواج. قلت وأكرّر أكثر من أي وقت مضى : "إنّه عهد المسيح مع العائلة". لأحدّد كلمة "عهد" تجنبًا لأيّ التباس، أضيف: "المسيح حاضر في العائلة". يمكن أن نحدِّد هذا الكنز كعهد، أي مسيرة مع المسيح لنحبّ، على الصعيد الشخصيّ والزوجيّ، لنجني ثمارًا كثيرة. الرغبة بالتقدَّم هي أمر أساسيّ. الكهنة المستشارون الروحيون والمرافقون الروحيون، هم في خدمة هذا النموّ. كان الأب ريكاردو الذي ينهي خدمته كمستشار روحيّ للفرقة المسؤولة الدوليَّة، يقول للكهنة المستشارين الروحيين والمرافقين للفرق، منذ ست سنوات حين باشر بمهمّته: "دُعينا لنرافق، لنُنشِّط ولنخدم أزواج فِرقنا، ونعمة الربّ تقوّي جهوزيّتنا. ألا يجب أن نكون شهودًا حقيقيين لمحبَّة الله وسائرين يتشاركون متطلّبات حركة، نشكّل جزءًا منها، وتقدِّم لنا وسائل لنتقدَّس ونعيش كهنوتنا".

أزواج، كهنة، شمامسة، رهبان، راهبات أو علمانيون، كلّ واحد منّا بقوّته وضعفه، يُشكّل جزءًا من عائلة كبيرة. هذا ويدعونا البابا فرنسيس، لنتعلّم السير معًا نحو القداسة: "لِنَسِر، أيّتها العائلات، ولنجِّد في السير! فما وعدنا به هو دائمًا أعظم. علينا ألاّ نفقد الرجاء بسبب محدوديتنا، إنَّما علينا أيضًا ألا نتراجع أبدًا في البحث عن كمال الحبّ والشركة الذي وعدنا به." (فرح الحبّ ٣٢٥) في النهاية، أليست السينودسيَّة هذا: أن نشهد، كلّنا معًا وكلّ واحد منّا بنعمته الخاصة، أنَّ "الله محبَّة" (١ يو ٤، ٨)؟

الأب لويس دي راينال

صلاة

أمكث معنا يا ربّ! على مثال التلميذين في الإنجيل، نبتهل إليك يا ربّنا يسوع: أمكث معنا! أنت، أيّها المسافر الإلهيّ، الخبير بطرقاتنا والعارف بخفايا قلوبنا، لا تتركنا سجناء الليل.

أعضدنا في ضعفنا، أغفر خطايانا، وجِّه خطواتنا على درب الخير.

بارك الأولاد، الشبّان، المسنين، العائلات، وخاصة المرضى. بارك الكهنة والأشخاص المكرَّسين. بارك كلّ البشريَّة.

في الإفخارستيّا، جعلت من نفسك "دواءً للخلود" : أعطنا أن نتذوَّق حياة مُعاشة بملئها، لنسير على هذه الأرض كحجَّاج واثقين وفرحين، هدفهم الدائم الحياة التي لا نهاية لها.

أمكث معنا، ياربّ! أمكث معنا!

(قداس إفتتاح سنة الإفخارستيّا، بازيليك القديس بطرس، روما ١٧ تشرين الأوّل ٢٠٠٤)

أسئلة للمناقشة بين الزوجين

١- " أمكث معنا، يا ربّ"، في أيّة ظروف من حياتنا يمكننا أن نصلّي هذه الصلاة اليوم؟

٢- بأيَّة طريقة يمكن لكلمات الأزواج المُكَرَّمين (المذكورة سابقًا في النص) أن تُلهمنا؟ بأيّة طريقة ننمّي حبّنا الزوجي؟

أسئلة للمناقشة في اجتماع الفرقة

١- هل يمكننا أن نتشارك في اختبار دَعونا فيه الربّ ليمكث معنا؟ أيّة راحة وتعزية نلناهما؟

٢- أيّ جانب ذكره الأب كافاريل عن الصلاة القلبيّة، أفتقده الأكثر اليوم؟ هل هناك تغيير في طريقة عيشي للصلاة القلبيّة؟ ما هو؟

الفصل السابع

إستقبال الخبز المكسور

في هذا الفصل نكتشف أنَّ ذروة مسيرتنا الروحيَّة الفرديَّة والزوجيَّة تكمن في لقائنا مع الله والإتِّحاد به في سرّ الإفخارستيّا.

ولمَّا جلس معهما للطعام، أخذ الخبز وبارك ثم كسره وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه فغاب عنهما. فقال أحدهما للآخر: " أما كان قلبنا مُتّقدًا في صدرنا، حين كان يُحدِّثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب؟" (لوقا ٢٤،٣٠-٣٢)

نتمنّى أن يحدث مع كلّ واحد (ة) منّا، ماحدث مع تلميذيّ عمّاوس. هذا المقطع عن "الهاربَين" اللذين أصبحا "حاجَّين"، وحيث أصبح الربّ رفيق دربهما (ظهر في البداية كغريب أو مجهول) الذي من خلال كلماته، وبطريقة غير مباشرة، أعطاهما الروح القدس من جديد ليفهما، وفتح قلبيهما ليستقبلاه. " أمكث معنا"، قالا له، وثقا به لدرجة أنَّهما سمحا له بالدخول إلى حميميّتهما. دخل يسوع إلى بيتهما. لكن هنا، من المفترض أن يكون هو المدعوّ، أصبح هو بذاته صاحب الدعوة، وانجذبا للدخول في حياة مُضيفهما الداخليّة.

كسر الخبز: أصل هذه الحركة

إنَّ كسر الخبز ليس حركة من إبتكار يسوع، إنّها من الشعائر التي تُشكِّل جزءًا من التقليد اليهودي. كان يقوم الوالد في العائلة بهذه الحركة، خلال وجبات الطعام الدينيَّة أيّام السبت وأيام الأعياد، وخاصة في عيد الفصح حيث إنّ الخبز يُصنع بدون خمير.

تقليد يهوديّ آخر يحتوي هو أيضًا على حركة تدلّ على المشاركة، إنّه تقليد الذبيحة الشركة التي تُشكِّل ذبيحة الفصح جزءًا منه. يتعلَّق الأمر بعمل دينيّ على مرحلتين: المرحلة الأولى تتمّ في الهيكل حيث يُذبح الحمل ويتقاسمونه، المرحلة الثانيَّة تتمّ في البيت حيث تؤكل الحصة من الحمل التي تعود إلى العائلة (الدم هو من حصة الله، والفخذ اليمين، من حصة الكاهن مُقدِّم الذبيحة). هذه هي الشراكة بين ثلاثة، الله، الكاهن والعائلة التي تتناول الطعام ذاته، كونهم مدعوّين إلى المائدة نفسها. فاستعاد يسوع إذًا هذه الحركة، في العشاء السريّ، وأعطاه معنىً مسيحيًا، بقوله "إصنعوا هذا لذكري".

يحدث هذا أيضًا كلّ يوم في بيوتنا

بدون خبز مُبارَك مكسور ومتُقاسَم، لا وجود للألفة على المائدة، لا روابط صداقة، لا سلام، لا حبّ ولا أمل. ومع ذلك، هذه الحركة التي هي بمنتهى البساطة، العاديّة للغاية، تصبح مُختلفة. لأنَّه معه، يمكن أن يصبح كلّ شيء جديد، كلّ شيء يتجدَّد.

نعرف جميعًا هذه الرغبة بأن نعطي أفضل ما لدينا على المائدة. نقول:"كلوا واشربوا، حضَّرت هذا الطعام لكم. تناولوا المزيد، لكي تتلذّذوا، ليعطيكم القوة، لتشعروا كم أحبّكم". ما نريده، في العمق، أكثر بكثير من تقديم الطعام، بل تقديم بعض الشيء من ذواتنا.

في الإفخارستيا، يعطي يسوع كلّ ما لديه، يعطي ذاته

لا يدلّ الخبز على رغبته بأن يصبح طعامنا فحسب، وكذلك الكأس لا تدلّ على إرادته بأن يصبح شرابنا ليس إلاّ، بل يصبح الخبز والخمر جسده ودمَه بالعطاء الكليّ. الخبز هو في الحقيقة جسده الذي أسلِمَ لنا، والخمر هو دمه المُراق من أجلنا. كما يصبح الله حاضرًا بملئه من أجلنا، بيسوع المسيح، هكذا يصبح يسوع حاضرًا بملئه من أجلنا في خبز وخمر الإفخارستيا. إنّ التجسّد والإفخارستيا هما التعبيران عن الحب العظيم والمجانيّ للإله الذي لا يحتفظ بشيء لذاته، بل يعطي كلّ شيء، يعطي ذاته بالكامل.

سرّ الشراكة مع الله

الكلمة الأفضل التي تصف سرّ عطاء الله الكامل هذا، الله الذي يعطي ذاته بالحبّ، هي كلمة "شراكة". إنَّ ذبيحة الصليب، وذبيحة المائدة يشكّلان ذبيحة واحدة، عطاءً كليًّا، يعطي به الله ذاته، ينضمّ بذلك إلى كلّ البشريَّة في الزمان والمكان.

في يسوع وبواسطته، يريد الربّ أن يعلِّمنا، يُثقِّفنا أو يُلهمنا، لكنّه يريد أن يصبح معنا واحدًا. يريد الله أن يتَّحد بنا كليًا حتى يرتبط كيانه بكياننا في حبّ أبديّ. القصة الطويلة للعلاقة بين الله والبشريّة، هي علاقة شركة من الأكثر حميمية. قصة يبحث الله فيها، وبدون توقّف، عن طرق جديدة للتواصل بشكل حميميّ مع من خلقهم على صورته.

كلّ واحد منّا اليوم

يبحث الله عن الشراكة مع كلّ واحد منّا: وحدة حيويَّة ومُحيية، حميميَّة مُتشارَكَة بالكامل، صلة متبادلَة حقًا. لا شيء مفروض أو بالإكراه، بل شراكة مُقدَّمة ومقبولة بكلّ حريَّة. لا يتراجع الله أمام أيّ شيء ليجعل هذه الشراكة ممكنة.

الشراكة هي رغبة الله... لكن هي ما نريده نحن أيضًا. إنّها دعوة تنبع من عمق قلب الله ومن قلبنا، لأنَّ قلبنا لن يرتاح إلاّ في قلب الذي خلقه. وضع الله في كلّ شخص منّا رغبة قويّة بالشراكة، لا أحد غيره يستطيع أو يرغب بتحقيقها. الربّ يعرف هذا، لكننا لا نُدرك هذا الأمر إلاّ نادرًا.

يقول القديس أوغسطينوس:" قلبي لن يرتاح، إلاّ عندما يستريح فيك، يا ربّ" لكن عندما أطالع قصّة خلاصنا الشاقة، أدرك أنّه لسنا وحدنا نرغب بالانتماء إلى الله، بل أنّ الله أيضًا يرغب في أن ينتمي إلينا. كما لو أنَّ الله ينادينا وهو يقول:" قلبي لن يرتاح ما دمت ومنذ وقت طويل، لا أستطيع أن أرتاح إلاّ فيكم يا خليقتي المحبوبة".

من آدم وحواء إلى ابراهيم وسارة، ومن ابراهيم وسارة إلى داوود وبتشابع، ومن داوود وبتشابع إلى يسوع، وصولاً إلينا أيضًا، يتوسّلنا الله لنستقبله عندنا. " لقد خلقتكم، أعطيتكم حبّي بملئه، أرشدتكم، قدَّمت لكم دعمي، وعدتكم بتحقيق كلّ رغبات قلوبكم: أين أنتم؟ أنتظر ردّكم، أين هو حبّكم؟ ماذا عليَّ أن أفعل أكثر من هذا لأجعلكم تحبّوني؟ سأحاول مرّة بعد، لن أستسلم أبدًا. ذات يوم، ستكتشفون كم أرغب بالحصول على حبّكم!"

إلى أيّ مدى أدع نفسي أنجذب إلى هذا الحبّ الإلهي؟ هل أنا مستعد (ة) للدخول في شركة الحبّ هذه؟

حياتنا نحن الزوجين

في إرشاده الرسولي " في وظائف العائلة المسيحيَّة"، يشرح البابا يوحنا بولس الثاني، كيف يتقوّى الحبّ بين الزوجين بالإفخارستيا. بعد سنين الزواج الأولى وما يتخلّلها من اضطرابات، التي تختفي رويدًا رويدًا، يصبح الحبّ بين الزوجين أعمقًا. أحيانًا يصعب تخطّي الأمر، بالنسبة إلى أزواج كُثُر، يمكن أن يقعوا في تجربة التفتيش عن الحبّ في مكان آخر. بالتحديد، في هذه الأوقات الدقيقة، يحتاج الزوجان إلى تغذية حبّهما بالإفخارستيا. يكتب البابا يوحنا بولس الثاني في هذه الرسالة :

"الإفخارستيا ينبوع الزواج المسيحي. وذبيحة الإفخارستيا، في الواقع، تعود إلى عهد محبَّة المسيح مع الكنيسة الذي خُتِم بدمّ الصليب. وفي ذبيحة العهد الجديد الأبدي هذه، يجد الأزواج المسيحيون الأصل الذي يتفرَّع منه عهدهم الزواجي ويتكيَّف به باطنيًا، ويحيا باستمرار".

في الإفخارستيا، يجعل المسيح من ذاته قوتًا لنا، هذا النموذج عن الذبيحة وهذه الرغبة بالشراكة الحميمة، يصبحان بالنسبة إلينا مثالاً نحتذي به. نحن بعيدون كلّ البعد عن حبّ كهذا، إنما نحن مدعوون لنحاول أن نعكسه، على قياسنا، بيننا نحن الزوجين.

تصبح الإفخارستيا ينبوع المحبة

يشرح البابا يوحنا بولس الثاني أيضًا كيف يُغذّي استقبال يسوع في الإفخارستيا حياة المحبّة في عائلاتنا:

"الإفخارستيا، بما أنّها تمثيل لذبيحة محبّة المسيح في الكنيسة هي ينبوع محبّة. وفي المحبّة النابعة من الإفخارستيا تجد العائلة المسيحيّة أساسها وما يشبه روح "اتحادها" و "رسالتها": فخبز الإفخارستيا يجعل من مختلف أعضاء الجماعة العائليّة جسدًا واحدًا تتجلّى فيه وحدة الكنيسة والإشتراك الأوسع فيها. ويصبح بالتالي تناول الجسد "المُعطى" والدم "المُراق" ينبوعًا لا ينضب لنشاط العائلة المسيحيّة الإرسالي والرسولي".

إذا كان يسوع هو منبع كلّ حبّ، فلماذا لا نتّجه نحوه لنجدِّد الحبّ بيننا نحن الزوجين وفي قلب العائلة؟ لقد أظهر القديس بولس بشكل رائع، الصلة بين الحبّ الزوجي والحبّ المتجسَّد بيسوع. في رسالته إلى أهل أفسس تُذَكِّرنا كلماته أنّه علينا أن نحبّ بعضنا كما أحبّنا المسيح، بهذا الحبّ الذي عبّر عنه هو بوضوح في الإفخارستيا:" أيّها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها". (أفس ٥،٢٥)

كتب الطوباوي Pier Giorgio Frassati في رسالته بتاريخ ٢٩ تموز ١٩٢٣:" أحثّكم بكلّ القوة التي في نفسي أن تقتربوا من مائدة الإفخارستيا غالبًا، وقدر ما تستطيعون لأنّ يسوع المسيح قد وعد الذين يتغذّون منها، بالحياة الأبديّة وبالنعم اللازمة للحصول عليها. لندَع هذه الكلمات تأسرنا، ولنتجرّأ ونقترب من النبع الحيّ الذي يحيي حبّنا في كلّ وقت. لنثق أنّه إذا ما قدّمنا حبّنا الزوجيّ بقلب متواضع، مع كلّ نواقصنا ومحدوديّتنا، يمكن لهذا النبع أن يجعل ديناميّة وحياة جديدة، تتدفقان في داخلنا.

لنتجرّأ ونسجد معًا أمام بيت القربان المقدّس، ونتجرّأ على أن نضع كلّ حياتنا الزوجيّة، والعائلية بأفراحها وأحزانها عنده. هنا نتلقّى كلّ النِعَم. لنتقدَّم معًا إلى المناولة، هنا نتّحد بجسد واحد. "ماذا يصبح هؤلاء الذين يتناولون؟" جسد المسيح: ليسوا بعد اليوم عدّة أجساد، بل جسد واحد. هكذا نحن متّحدون أحدنا مع الآخر ومع المسيح". (العِظة ٢١ عن ١ قور ١٦،١٠-١٧)

العالم حيث نعيش

"وعرفاه... فغاب عنهما". في اللّحظة التي عرفاه فيها لدى كسر الخبز، لم يعد بينهما، لم يعودا يرياه جالسًا معهما على الطاولة. حين يصبح معروفًا أكثر بالنسبة إليهما، بالتحديد لأنهما عرفاه، يصبح غائبًا. هنا نلمس أحد الجوانب الأكثر قداسة في الإفخارستيا: السرّ الذي به تحدث الشراكة الأكثر حميمية مع يسوع في غيابه.

في السابق، كانا معه لمدَّة طويلة حين كان يُبشّر، أصبح مُرشدهما ومعلِّمهما. كانا قد بقيا معه، جلسا عند قدميه، كانا شاهدين على أعماله وعلى تعاليمه. كانا يعتقدان أنّهما يعرفاه بشكل جيّد ... لكنّهما لم يكونا قد دخلا بشكل كامل في شراكة معه. لم يكن جسده ودمه قد اتّحدا بجسديهما. لعدّة اعتبارات، كان ما يزال الآخر، خارجًا عنهما، ذاك الذي يسير أمامهما ليرشدهما إلى الطريق.

الآن، بما أنّهما أكلا الخبز الذي قدّمه لهما، وقد عرفاه، أصبحت هذه المعرفة صحوة روحيَّة لأنَّه أصبح ساكنًا في أعمق أعماق كيانهما، يتنفّس معهما، يتكلّم بفمهما، ويعيش فيهما. عندما تناولا الخبز الذي قدّمه لهما، تحوّلت حياتهما إلى حياته، لم يعودا هما اللذان يحييان، بل يسوع القائم من الموت هو الذي يحيا فيهما، في اللحظة الأكثر قداسة في الشركة معه، يختفي عن أعينهما.

هذا ما نعيشه في الإحتفال الإفخارستي، حين تصبح حياتنا إفخارستيَّة في وسط العالم. وجودنا في العالم يتحوّل إلى وجوده من خلالنا. يمكن ليداه أن تعملا في العالم بواسطة أيدينا. كلماتنا تعكس كلماته، وحركات الحبّ والتضامن والعدالة والأخوَّة تتحدث عنه.

أن نكون في شراكة مع المسيح يعني أن نقتدي به، هو مثالنا، والوحيد الذي نضع ثقتنا فيه ورجاءنا، في مواجهة النماذج التي يقدّمها لنا العالم. معه نكون معلّقين على الصليب، معه نوضَع في القبر، ومعه نقوم من الموت. إنَّ واقع الدخول في شراكة مع المسيح والتشبّه به، يقودنا إلى أسلوب حياة جديد. نصبح شهودًا جُددًا، بنّائين لعالم جديد.

ما يشاركنا به الأب كافاريل عن الزواج والإفخارستيا

"من يأكل جسدي ويشرب دمي ثَبُتَ فيَّ وثَبَتُّ فيه. وكما أنَّ الآب الحيّ أرسلني وإنّي أحيا بالآب، فكذلك الذي يأكلني سيحيا بي." (يو ٦، ٥٧) حين نقرأ هذه الصفحة العجيبة، كيف لنا ألا نشعر بالعظمة الإستثنائيَّة للزواج بين شخصين مسيحيين؟ أيّها الزوجان، أنتما من تأكلان جسد المسيح، وتثبتان فيه، وهو يثبت فيكما، كيف لكما ألا يحبّ أحدكما الآخر حبًّا مختلفًا تمامًا عن حبّ بقيّة الناس، حبّ قائم من الموت؟ هل يمكن أن ينظر أحدكما إلى الآخر، أن تتشاركا أحزانكما وأفراحكما، أن يعطي كلّ واحد منكما ذاته للآخر من كلّ قلبه، بكلّ جسده وأن تتعاونا طوال الدرب، دون أن تشعرا أنَّكما تعيشان سرًا عظيمًا؟

(الأب كافاريل، "الزواج والإفخارستيا" مجلّة "الخاتم الذهبي"، رقم ١١٧- ١١٨، الزواج طريق نحو الله، أيار- آب ١٩٦٤)

ما يشاركنا به البابا فرنسيس حول تأثير الإفخارستيا المحوِّل

(في صلاته في شهر تموز ٢٠٢٣، حضَّ البابا فرنسيس المؤمنين ليدعوا أنفسهم تتحوّل بفعل الإفخارستيا، نبع وقمَّة كلّ حياة مسيحيَّة)

"إذا كنتم تخرجون من القداس كما دخلتم إليه، لا بدّ أنَّ هناك خلل ما... الإفخارستيا هي حضور يسوع. لها تأثير محوِّل بالعمق... في كلّ مرّة نشترك بالإفخارستيا، يأتي إلينا يسوع ويعطينا القوّة لنُحبّ كما هو أحبَّنا. إنَّ الإحتفال بالإفخارستيا هو لقاء مع يسوع القائم من الموت، وفي الوقت عينه هو طريقة لننفتح على العالم كما علَّمنا... تعطينا الشجاعة لنذهب لملاقاة الآخر، للخروج من ذاتنا والإنفتاح على الآخرين... دعوا أنفسكم تتحوّلون بتأثير الإفخارستيا. لنصلِّ إلى الله، ليجعل الكاثوليك من الإحتفال الإفخارستي مركز حياتهم، لأنّه يُحوِّل العلاقات الإنسانيَّة ويفتح على اللقاء مع الله ومع الإخوة والأخوات."

شهادة حياة

إلتقينا، وتطوَّرت علاقتنا في ظلّ التزامات من أجل كلّ ما هو إنسانيّ – من أجل كلّ إنسان، مثل فرق الإنقاذ في الصليب الأحمر والحركة الكشفيّة. توطَّدت علاقتنا حول اعتقاد راسخ بمبادئ وقيَم سامية كالصداقات الحسنة والنظيفة، المُجرَّدة من كلّ مصلحة، التفاني في سبيل الغير، المساندة غير المشروطة للعائلة، ومجانيَّة الله في الطبيعة والناس أصحاب النوايا الحسنة. تزوّجنا في سنّ، بالأحرى مُبكّرة، وأسَّسنا عائلتنا على زواج عماده ثلاثة مع يسوع، الصخرة والشريك الكامل في مشروعنا. حلمنا وكانت أحلامنا كبيرة.

قرأنا العديد من الكتب التي أرشدتنا حول هذا الموضوع، استشرنا أصدقاء يتمتّعون بالحكمة، كذلك عرَّابين لنا في الحركة الكشفيَّة وكهنة مُرشدين ومستشارين روحيين، وقرَّرنا أنّه منذ البداية، هذه المسيرة وهذا الحبّ، الذي بدا لنا أنّه عظيم للغاية، لا يمكن أن يتحقّقا من دون "حضوره" في قلب زواجنا، وفي عائلتنا. كنا نُدرك أنّ هذا المشروع كان ثقيلاً علينا ونحن عديمي الخبرة. هكذا، رويدًا رويدًا، جمعنا من حولنا أشخاصًا كانوا لنا سندًا قويًا وموثوقًا بهم، تحوَّلت نشاطاتنا لتكون مفيدة بشكل خاص، بنَّاءة وممتعة تتماشى بشكل كبير مع قِيَمنا. أبعدنا عن معاشراتنا كلّ ما يؤذينا. "إن لم تجد الطريق فابحث عنها بنفسك"، هذه العبارة الخاصة بالحركة الكشفيّة، المأخوذة من رتبة إنطلاق الكشّاف، أصبحت شعارنا لننتقل من مُشاة على الطريق إلى حجّاج على الطريق التي تقود إلى الله، مثالنا الأعلى.

كانت نِعَم الله وفيرة. أولادنا، فرحنا الأكبر، كانوا يكبرون بالقامة والحكمة والنعمة. أصبح بيتنا بيت استقبال ليسوع من خلال الضيف. أصبحت المائدة مكانًا مميَّزًا للقاءات وديَّة وجميلة، وتبادل أحاديث كثيرة وصداقات حارّة. وفقًا للتقليد المحلّيّ، الذي يعود إلى عصر الكنعانيين، تُبنى الصداقات الحقيقيّة حول غداء عائليّ وسخيّ ومضياف من خلال مشاركة "الخبز والملح". في الواقع، إنَّ هذا التقليد حول تقاسم الخبز المُرَسَّخ في العادات الشعبيَّة اللبنانيَّة، هو رمز انفتاح، عيش مشترك وثقة – كذلك القبلات الثلاثة (الثالوث!) على الخدّين، ترمز إلى أننا نستقبل المسيح. أخيرًا، كعادة موروثة من أهلنا، نحتفظ غالبًا بغطاء مائدة إضافي من أجل الضيف "غير المتوقّع" الذي قد ينضمّ إلينا ويبارك خبزنا.

ومع ذلك، لم تمرّ الأمور كما كنا نتمنّى. تمامًا مثل النِعَم، واضطرابات الحياة، والمِحَن والأوجاع المدَمِّرة، لم تكن قليلة في حياتنا. كان أعضاء فرقتنا وصداقاتنا المتينة المصقولة أكبر من الهزات التي أصابتنا، كانوا بالنسبة إلينا سندًا كبيرًا حيويًا. إنَّ التأمّل حول صلاة بادري بيو "إبقَ معي، ربّي يسوع" ورؤية القديسة فيرونيكا متعلِّقة بثوب المسيح (متى

٩، ٢٠-٢٢)، (مر ٥، ٢٥- ٣٤)، (لو ٨، ٤٣- ٤٩)، كانت تنفخ فينا دائمًا الإيمان والشجاعة لننهض من جديد ونكمل السير. حتى في اللحظات "الخالية" من الحبّ، ومن الفرح... إلى أين نذهب؟ إلى من نذهب، والقلب بعيد عنه. كنّا نبحث عن حضوره في أوقات الإحباط، والضياع وفقدان المعنى. عند المساء، متقوقعين على ذواتنا، كنّا نتخيَّل أنفسنا وكأننا قرب مريم، مُلتصقين بها، مندثرين في ثوبها الذي يُشعرنا بالطمأنينة والحماية، وكانت تقدّمنا إلى ابنها، عندها فقط كنّا نشعر بحضوره. معًا، مع مريم وبنعمة الربّ، صمدنا.

الآن، مع تقدّمنا بالعمر، مع أننا ما زلنا نشيطين، نرجو في نهاية مسيرتنا، من الآن فصاعدًا، أن نتمكّن من أن نقدّم له إيماننا الذي لا يتزعزع بوعده، وصدق بداياتنا.

ريتا ويوسف زغيب

صلاة القديس يوحنا الذهبيّ الفم

" تكرَّم، يا ابن الله، واقبلني اليوم في عشائك السريّ المقدَّس!"

"أؤمن وأعترف يا ربّ، بأنّك حقًّا يسوع المسيح، ابن الله الحيّ الآتي إلى العالم ليُخلِّص الخطأة، وأنا الأوّل بينهم. أؤمن أيضًا بأنَّ هذا هو جسدك الطاهر ودمك المقدَّس، أتوسَّل إليك، أشفق عليَّ واغفر خطاياي التي ارتكبتها، عن قصد أو عن غير قصد، بالقول أو بالفعل، عن نيَّة أو بدون تفكير، أنعِم عليَّ بأن أستقبل باستحقاق القربان المقدَّس تكفيرًا عن خطاياي وللحياة الأبديَّة. تكرَّم، يا ابن الله، واقبلني اليوم في عشائك السريّ المقدَّس! لن أخونك في وجه أعدائكَ، ولن أقدِّم لك قبلة يهوذا، لكن سأقول لك كما قال لصّ اليمين على الصليب:" يا ربّ، أذكرني متى أتيتَ في ملكوتك!"

أسئلة للمشاركة بين الزوجين

١- ما هي المكانة التي نعطيها للإفخارستيا (القداس، العبادة) في حياتنا الزوجيَّة والعائليَّة؟

٢- بعد أن قرأنا هذا الفصل، ماذا أضاف على فهمنا عن سرّ المناولة؟

أسئلة للمشاركة في اجتماع الفرقة

١- كان القديس شارل دو فوكو يتأمَّل في أغلب الأحيان في حضور المسيح في الإفخارستيا، لكن أيضًا في كلّ إنسان نصادفه...

هل نحن قادرون أن نرى بعين الإيمان، المسيح الساكن في شريكي (شريكتي)؟ ماذا يُغيِّر هذا الأمر في تصرّفاتي وانطباعاتي حوله (حولها)؟

٢- ما هي حاجاتنا واقتراحاتنا لنكبر معًا ونتعاون لتعميق علاقتنا بالإفخارستيا؟ (على صعيد كلّ زوجين وعلى صعيد الفرقة كجماعة صغيرة؟)

الفصل الثامن

في قلب فِرقتنا، في قلب الكنيسة

نكتشف في هذا الفصل فرح السير معًا في فرقنا كتلاميذ للمسيح، ونرى أنفسنا نتحوَّل إلى رسل للحبّ في قلب كنيستنا.

"وقاما في تلك الساعة نفسها ورجعا إلى أورشليم، فوجدا الأحد عشر والذين معهم مجتمعين، وكانوا يقولون أنَّ الربَّ قام حقاً وتراءى لسمعان. فرويا ما حدث في الطريق، وكيف عرفاه عند كسر الخبز" (لو ٢٤، ٣٣– ٣٥)

ها نحن قد وصلنا إلى الموضوع الأخير في طريقنا مع تلميذيّ عمّاوس. رسم كلّ موضوع مرحلة من مسيرتنا الخاصة في الإيمان. مسيرة تعمّق شخصيّ وعلى الصعيد الزوجيّ، تساعدنا على عيش إيماننا اليوم، مُستَنيرين بهذه التجربة الرائعة التي عاشها هذان التلميذان، والتي ألهمت المؤمنين لأجيال عديدة.

<u>في تلك الساعة نفسها:</u> لا وقت لديهما ليضيّعاه. يمكننا أن نتخيّلهما، إنتعلا خِفّيهما بسرعة، إرتديا معطفهما، أمسكا بعصاهما وعادا إلى التلاميذ الآخرين ليُعلِموهم بأنّ هذه ليست النهاية، وأنَّ النسوة اللواتي أخبرنَ بكلام الملائكة، قد قلنَ الحقيقة.

<u>كلّ شيء تغيَّر:</u> لم نعد نشعر بالخسائر وكأنَّها إخفاقات. بدأ المسافران رحلتهما بوجه متجهِّم وحزين. أمَّا الآن، أصبح ينظر أحدهما إلى الآخر بعينين يفيض منهما نور جديد. الغريب الذي أصبح صديقهما، أعطاهما روحه، روح مقدَّس من الفرح، السلام، الشجاعة، الرجاء والحبّ. لم يعد هناك أدنى شك في نفسيهما: إنه حيّ! ليس كالسابق، ليس كالعرّافة الساحر والشافي من الناصرة، لكنّه حيّ كنَفَس جديد في داخلهما. قلاوبا وصديقه قد تجدَّدا. حظيا بقلب جديد، ونفس جديدة. صداقتهما بحدّ ذاتها، قد تحوَّلت. لم يعودا بعد اليوم صديقين يستطيع أن يُعزّي أحدهما الآخر ويشدِّد من عزيمته بالبكاء على خسارتهما، بل أصبحا شخصين يحملان مسؤوليّة مهمَّة جديدة. معًا، لديهما شيء يقولانه، شيء بالغ الأهميَّة، عاجل، ولا يمكن أن يبقى طيّ الكتمان، شيء يجب أن يُعلَن.

<u>ما الفرق بين عودتهما إلى المنزل... وعودتهما إلى أورشليم؟</u>

إنّه الفرق بين الشك والإيمان، بين اليأس والرجاء، بين الخوف والحبّ. إنّه الفرق بين شخصين بشريين محبطين يسيران على غير هدى على الطريق، وصديقين يسيران بخطى سريعة، وأحيانًا كأنّهما في سباق، مندفعين بحماس ليشاركا

الآخرين بالخبر السار. تمّت الرحلة الأولى في النهار، لكن في ظلمة داخليّة، في حين أنّ الرحلة الثانية تمَّت في الليل، وبالرغم من التعب الجسديّ كانت قوّة النعمة التي أُعطيت لهما قد أنارت نفسيهما. بالإضافة إلى أنَّ هذه العودة لم تخلُ من المخاطر. بعد موت يسوع، خاف تلاميذه. كانوا يتسألون عن المصير الذي ينتظرهم، لكن هنا تحرّرا ليشهدا للقيامة بالرغم من الثمن الذي كان عليهما تسديده. أدركوا أنّ هؤلاء الأشخاص أنفسهم الذين كانوا يكرهون يسوع، ربما سيكرهونهما أيضًا، والأشخاص ذاتهم الذين قتلوا يسوع، ربما سيقتلونهما. يمكن لعودتهما أن تكلّفهما حياتهما. قد يُطلَب منهما أن يشهدا، ليس فقط بالكلام، بل بدمهما أيضًا. لكنّهما لن يشعرا بالخوف بعد الآن، وحتى من الإستشهاد. الربّ القائم من الموت هو حيّ وحاضر في داخلهما، يملأهما بحبّ أقوى من الموت.

<u>بين الإحتفال الإفخارستيّ وحياة إفخارستيَّة</u>

تأمّلنا في الفصل السابق بالخبز المكسور والمعنى العميق للمناولة: هذه الحميميَّة المقدَّسة مع يسوع وبواسطته، مع الله نفسه والتعرّف إلى يسوع في القربانة المقدَّسة، ليس لحظة للتذوّق فحسب أو لإبقائها سريّة. ينتهي القداس بإرسال في مهمّة. " إذهبوا واشهدوا الآن". على مثال مريم المجدليَّة، هذان الصديقان سمعا أيضًا هذا النداء في أعمق أعماقهما. إذهبا واشهدا: هذه هي الخلاصة الإفخارستيَّة، وأيضًا النداء النهائي إلى حياة إفخارستيَّة: "اذهبا واشهدا على ما رأيتما وسمعتما، لا تحتفظا به لنفسيكما فقط. هذه الرسالة هي أيضًا لإخوتكما وأخواتكما ولكلّ اللواتي والّذين هم مستعدون لسماعها. إذهبا، لا تتوقفا، لا تنتظرا شيئًا، لا تتردّدا بل انتقلا إلى العمل..."

كلّ واحد منّا اليوم... مدعوّ ليعيش حياة إفخارستيَّة

هنا تنتهي قصة قلاوبا ورفيقه، عندما أخبرا الأحد عشر تلميذًا ورفاقهما بشهادتهما. لكنّ الرسالة مستمرَّة. يرسم النص ما حصل على الطريق وعلى المائدة، بداية حياة إرساليَّة نعيشها كلّ يوم من حياتنا إلى اليوم الذي نرى فيه المسيح الحيّ وجهًا لوجه.

إنها حركة ناتجة عن الإفخارستيا، وتنطلق من المناولة إلى الجماعة ثمّ إلى الرسالة. إنَّ اختبارنا مع المناولة، يُرسلنا أوّلاً باتجاه إخوتنا وأخواتنا، لكي نتقاسم معهم قصصنا ونبني معهم علاقة حبّ. فيما بعد، كوننا جماعة، يمكننا الإنطلاق في كلّ الإتّجاهات لنلتقي الناس.

إلى الرسالة، أوّلاً باتجاه الأقربين

من المهمّ أن ندرك أنَّ هذه الرسالة هي، أوّلاً وقبل كلّ شيء، مُوَجَّهة نحو مَن ليسوا بغرباء عنّا، أقاربنا، عائلتنا، أصدقائنا... هؤلاء الذين يشكّلون جزءًا من حياتنا. بطريقة أو بأخرى، إنّ مصداقيَّة شهادتنا تكون تحت التجربة من قِبَل الأشخاص الذين يعرفوننا. يمكنهم أن يعرفوا نفاذ صبرنا، حقدنا، حسدنا، أخطاءنا، كلّ حقاراتنا الصغيرة...

في الرسالة، لا يتعلَّق الأمر بي وحدي فقط

يختار يسوع طرق عديدة ليظهر لنا وليُعلِمنا أنّه حيّ. يلمس قلب كلّ واحد منّا بطريقة مختلفة، فريدة وعجيبة. بوصولهما إلى أورشليم، وبسرد قصتهما، وُجِبَ على التلميذين أن يسمعا قصصًا أخرى كثيرة. لدينا قصصنا لنسردها، وهذا الأمر بغاية الأهميّة لكن، شهادتنا ليست الوحيدة. لدينا مهمّة يجب إتمامها، لكن يجب علينا الإصغاء إلى الآخرين أوّلاً. هذا ما يقودنا من جديد نحو الجماعة.

استطاع التلميذان أن يتحدثا معًا عن قلبهما المتّقد، من هذا المنطلق، دخل أحدهما مع الآخر في شكل جديد من العلاقة، مؤسَّسة على الشراكة التي اختبراها لتوّهما. إنّ شراكتهما مع يسوع كانت في الواقع، بداية الجماعة. لكن، كانت هذه مجرّد بداية. كانا بحاجة للقاء أناس آخرين يؤمنون أيضًا بقيامة يسوع... كانا بحاجة لسماع شهاداتهم، التي تختلف الواحدة عن الأخرى، ليكتشفا الوسائل المتعدِّدة التي استخدمها يسوع وروحه القدوس ليعمل في وسط شعبه. إنّه بغاية السهولة أن نُعيد يسوع إلى "يسوعنا"، إلى اختبارنا لحبّه، إلى طريقتنا بمعرفته. لكنّ يسوع تركنا ليُرسل إلينا روحه، وهذا الأخير ينفخ حيث يشاء. الجماعة المؤمنة هي المكان حيث تُروى عدّة قصص عن الطريقة التي يكون فيها يسوع حاضرًا. يمكن أن تكون كلّ تلك الشهادات مختلفة الواحدة عن الأخرى. حتى إنَّها تبدو أحيانًا متناقضة... ومع هذا يمكننا تدريجيًّا أن نكتشف أنّنا ننتمي إلى الجماعة ذاتها، نحن أعضاء جسد واحد مُوَحَّد بروح يسوع.

حياتنا نحن الزوجين

"أستدعي أزواجًا للرسالة. إنّهم في غالب الأحيان أفضل من يستطيع الإعلان عن يسوع المسيح. أدعو الأزواج للإلتزام أكثر فأكثر، وبطريقة ملموسة وخلاّقة"، هذا ما قاله البابا فرنسيس. (١٠/٩/٢٠١٥)

كتب شارل دو فوكو، مُرسَل في الصحراء الجزائريَّة، في إحدى رسائله إلى صديق (أسيكريم، في ٣ أيار ١٩١٢):

"من المؤكّد، أنَّه يجب أن يكون إلى جانب الكهنة، العديد من بريسيلا وأكّيلا، ليروا هؤلاء الذين لا يراهم الكاهن، ليدخلوا حيث لا يستطيع الكاهن أن يدخل، ليذهبوا صوب الذين يهربون منه، ليبشّروا بالإنجيل باتصال ناجع، بطيبة تفيض على الجميع، بعاطفة جاهزة دائمًا لتُعطى، بمثال يُحتذى به ويجذب الذين يديرون ظهرهم للكاهن وهم عدائيون حياله بسبب الانحياز". هل نحن مُدركون بالعمق أنّ إلهنا يعتمد علينا لنكون مُرسَلين لحبّه في قلب العالم؟

إنَّ حبَّنا الزوجي يتغذّى من نبع حبّه الذي لا ينضب، يقدّم الحبّ لأولادنا، لعائلاتنا، لأقربائنا... ويفتح جناحيه ليطال كلّ الذين نلتقيهم على دروبنا.

ميل للإنتقال من الشراكة إلى الرسالة دون المرور بالجماعة

لدينا هذا الميل للإنعزال في نوع من الإكتفاء الذاتي، حيث تدفعنا فردانيّتنا ورغبتنا بالنجاح الشخصيّ، للتصرّف منفردين، والمطالبة لنا وحدنا بمهمّة ممارسة رسالتنا. ومع ذلك، حتى يسوع لم يكن لوحده يبشّر ويشفي. يخبرنا الإنجيلي لوقا كيف أمضى لياليه باتحاد مع الله، وفي الصباح كان يعمل على بناء جماعة مع الرسل الإثني عشر، وبعد الظهر كان يذهب معهم ليعظوا الجموع. يدعونا يسوع لنعمل بالمثل: أن نسير بحسب الترتيب، من المناولة إلى الجماعة ثم إلى الرسالة. لا يريدنا أن نعمل لوحدنا. هكذا يمكننا أن نشهد بصفتنا أعضاء في الجماعة المؤمنة. نحن مدعوون إلى الرسالة لكي نشهد، نخدم، نقدّم الرجاء إلى العالم، ليس كثمرة مواهبنا الخاصة، بل كتعبير عن إيماننا بالذي جمعنا، الذي منه يأتي كلّ ما يمكننا أن نقدّمه.

العالم حيث نعيش

إنَّ سرّ حبّ الله، يكمن في أن تكون قلوبنا المُتَّقدَة، آذاننا وأعيننا المتنبِّهة، قادرة على اكتشاف أنَّ ذاك الذي التقيناه في حميميَّة أسرتنا، سيستمرّ في الكشف عن ذاته لنا، في الفقراء والمرضى والجياع والسجناء واللاجئين، وكل من يعيشون في الخوف. إنَّ رجاءنا ثابت والله حيّ.

نحن منقادون لندرك أنَّ رسالتنا لا تقوم على نشر البشرى السارة عن الربّ القائم من الموت فحسب، بل أيضًا على استقبال شهادة من نحن مُرسَلون إليهم. لا تتحقّق الرسالة تحديدًا بتعابير العطاء، لكنَّ الرسالة الحقيقيَّة تقتضي أيضًا بأن نستقبل عطاء الآخر. إذا كان صحيحًا أنَّ روح الله ينفخ حيث يشاء، يستطيع إذًا كلّ شخص أن يشاركه مع الآخرين. نتلقَّى بقدر ما نعطي. نهتمّ بالآخرين كما يهتمّ فينا الآخرون أيضًا. إنَّه روح الله، روح الحبّ الذي يختبىء

في الفقراء، في اليائسين والمتألّمين. يقول يسوع، "طوبى للفقراء، للمضطهدين وللباكين". كلّ مرَّة نهتمّ بهم، فهم بدورهم، عن وعي أو بدون وعي، يباركوننا بروح يسوع، وهكذا يصبحون رعاتنا.

هذه هي تبادليَّة العطاء والإستقبال، التي بدونها يمكن للرسالة وللخدمة أن يصبحا بكلّ سهولة آداة للتلاعب أو للعنف: حين يعطي الواحد والآخر يستقبل فقط باتجاه واحد، يتحوَّل الذي يعطي، بشكل سريع إلى مسيطر ويتحوّل الذي يستقبل إلى ضحيّة. هذه التبادليَّة هي التي تحقّق خبرة الأشخاص الذين يعيشون حياة إفخارستيَّة. إختيار الإمتنان بدل الضغينة والرجاء بدل اليأس. إنّ الإحصاءات بتعابير الأرقام عن التغيّرات التي حدثت، ليست بهذه الأهميَّة. لم يعرف يسوع وتلاميذه أبدًا نجاحًا باهرًا. المهمّ، أنَّه يوجد نفوس، أشخاص يجتمعون حول المائدة، يكرِّرون حركات ربّنا، كذكرى له، ولا يتوقّفون عن المشاركة في القصص التي تحكي عن الرجاء.

هكذا تكون الحياة الإفخارستيَّة، صغيرة للغاية، قلَّما تظهر إلى العلن، مُخَبَّأة، لكنّها مثل الخميرة، مثل حبَّة الخردل... سوف تُقدِّس العالم.

ما يشاركنا به الأب كافاريل عن "الرسالة خارج الأسرة"

"... هذه المحبَّة، هذه "الشراكة في المحبَّة" التي يزرعها الله في الأسرة، يعني أنّ على هذه الأسرة أن تشعّ من هذه المحبَّة، أن تكون عاملة للوحدة حيث تعيش، عليها أن تُشيِّد هذه الشراكة في الأماكن التي وُضِعَت فيها بنعمة من العناية الإلهيَّة. في أغلب الأحيان، إنّ المجهود الذي تقوم به الأسرة لتحقّق الوحدة، سيكون على المستوى البشريّ البحت، لكن عليها أن تعرف أنَّ هذه الوحدة البشريَّة هي شرارة وحدة على مستوى أعلى بكثير... لكنَّ الرسالة ليست شهادة وإشعاع فحسب، بل هي مهمّة أيضًا. هناك نشاطات رسوليَّة، يمكن للزوج والزوجة القيام بها ومتابعتها معًا. حتى إنَّ البعض منها يتطلّب أن يتكرَّسا كليهما: مثل تحضير الخاطبين للزواج، استقبال الموعوظين، مساعدة المتزوجين الجدّد، نجدة الأزواج المتعثرين... لا يمكنني ألا أتحدَّث عن هؤلاء الأزواج الذين يذهبون إلى المسيحيين الحديثي العهد، إلى جانب المُرسلين. هنا، أكثر من أيّ مكان آخر، وبحسب كلام البابا يوحنا الثالث والعشرون المُوَجَّه إلى حجّاج فرق السيّدة، على الأسَر المسيحيَّة، بشهادة حياتها، أن تُعلن، تبيِّن بالمثل، وتضع في متناول الجميع ما يُعَلِّمه الكهنة بالكلمة، لاسيّما عظمة ومتطلِّبات الزواج المسيحيّ...

من الطبيعيّ ألا يتحلّى كلّ الأسر بالدعوة نفسها، حتى إنّه في أغلب الأحيان، لا يستطيع الزوج والزوجة ممارسة هذه الرسالة معًا وذلك لأنّهما لا يقضيان نهارهما في المكان ذاته. المهمّ ليس أن يكونا دائمًا جسديًا معًا بل أخلاقيًا... ما كان القديس بولس يقوله عن الزوجين أكيلّا وبريسيلاّ:" مساعداي في الرسالة"، يجب أن يستطيع المسيح أن يقوله عن كلّ زوجين مسيحيين.

(مقتطفات من محاضرة للأب كافاريل، ظهرت في عدد خاص من مجلّة "الخاتم الذهبيّ" أيار – آب ١٩٦٢)

ما يشاركنا به البابا فرنسيس عن رسالة العائلات

(مقتطف من رسالته إلى الأزواج في مناسبة سنة "عائلة فرح الحبّ"، كانون الثاني ٢٠٢١)

"... فقد نما الوعي حول هويّة ورسلة العلمانيين في الكنيسة والمجتمع. لديكم مهّمة تحويل المجتمع من خلال حضوركم في عالم العمل واجتهادكم لكي تؤخذ بعين الإعتبار احتياجات العائلات. كذلك على الأزواج أيضًا أن يأخذوا المبادرة داخل الجماعة الراعوية والجماعة الأبرشية باقتراحاتهم وإبداعهم، وأن يسعوا إلى تكامل المواهب والدعوات كتعبير عن الشركة الكنسيّة، لا سيّما شركة الأزواج جنبًا إلى جنب مع الرعاة، لكي يسيروا مع عائلات أخرى، من أجل مساعدة الضعفاء لكي يعلنوا أنّ المسيح يكون حاضرًا أيضًا حتى في الصعوبات.

لذلك أحثكّم أيّها الأزواج الأعزاء، على المشاركة في الكنيسة، ولا سيّما في راعوية العائلة، لأنّ المسؤولية المشترَكة تجاه الرسالة تدعو الأزواج والكهنة، ولا سيّما الأساقفة، إلى التعاون بشكل مثمر في رعاية الكنائس البيتيّة وحراستها. كذلك تذكّروا على الدوام أنّ العائلة هي الخليّة الأساسيَّة للمجتمع. (فرح الإنجيل، ٦٦). إنّ الزواج هو في الحقيقة مشروع بناء "ثقافة اللقاء" (في الأخوّة والصداقة الإجتماعيَّة، ٢١٦). لهذا السبب، العائلات مدعوّة للعمل على بناء الجسور بين الأجيال لكي تنقل القيم التي تبني الإنسانيّة. في مواجهة التحديّات الحاليَّة، هناك حاجة إلى إبداع جديد للتعبير عن القيم التي تشكِّلنا كشعب في مجتمعاتنا وفي الكنيسة، شعب الله.

إنّ الدعوة إلى الزواج هي دعوة لقيادة قارب غير مُستقر – لكنّه آمن لحقيقة السرّ – في بحر هائج أحيانًا. كم من مرّة، على مثال الرسل، تريدون أن تقولوا، أو بالأحرى أن تصرخوا: " يا معلّم أما تبالي أننا نهلك؟" (مر ٤، ٣٨) لا ننسينَّ أنّ يسوع، من خلال سرّ الزواج، هو حاضر على هذا القارب. هو يهتم لأمركم ويبقى معكم في جميع الأوقات، في

اهتزازات القارب الذي تقذفه المياه. في مقطع آخر من الإنجيل، في وسط الصعوبات، يرى التلاميذ أنّ يسوع يقترب في وسط العاصفة ويستقبلونه على متن السفينة، وهكذا أنتم أيضًا، عندما تشتدّ العاصفة، اسمحوا ليسوع أن يصعد على متن سفينتكم، لأنّه عندما "صعِد السفينة إليهم، سكنت الريح" (مر ٦، ٥١). من المهمّ أن تحافظوا على نظركم محدقًّا إلى يسوع. وبهذه الطريقة فقط ستنالون السلام وتتغلّبون على النزاعات وتجدون حلولاً للعديد من مشاكلكم. ليس لأنّ هذه الأشياء ستختفي، وإنّما لأنّكم ستتمكّنون من رؤيتها من منظور آخر.

من خلال الإستسلام بين يديّ الربّ فقط ستتمكّنون من مواجهة ما يبدو مستحيلاً. والدرب هي أن تعترفوا بالهشاشة والعجز اللذين تختبرونهما إزاء العديد من المواقف التي تحيط بكم، ولكن أن تتحلّوا في الوقت عينه باليقين بأنّ قوّة المسيح بهذه الطريقة تتجلّى في ضعفكم. في خضّم العاصفة بالتحديد، بلغ الرسل إلى الإعتراف بملوكيّة يسوع وألوهيّته وتعلّموا أن يثقوا به".

شهادة حياة

تزوجنا منذ ٣٦ عامًا، ومنذ ٢٤ سنة ونحن ملتزمان بالكنيسة وبالعمل الراعوي.

كنا مسؤولين في اللجان العائلية، وكنا ناشطين في مختلف النشاطات الراعوية مثل تحضير الأولاد للمناولة الأولى، وكذلك إعداد الخاطبين للزواج على مستوى الأبرشية...

في العام ٢٠١٩- ٢٠٢٠، أثناء فترة وباء كورونا، عُيِّنَ كاهن جديد من رعيتنا مع فريق جديد إلى جانبه.

تفاجأنا بقرار تغيير الكاهن الذي كنّا على وفاق تامّ معه، كما بتعليق كلّ مسؤولياتنا في الرعيّة. انتابنا شعور بالظلم، بسوء الفهم والحزن، ما أثّر على حماسنا والتزامنا تجاه الكنيسة.

بعد عدّة صعوبات ومِحَن، قدَّم كاهن صديق لنا حركة ورسالة فرق السيدة. شرح لنا، أنّ حركة فرق السيّدة يمكن أن تساعدنا على إيجاد عائلة ونشاطات راعوية ويمكنها تحقيق إنتظاراتنا.

لقد أجرينا بحثًا عن هذه الحركة، واستطعنا، بعد ثلاثة أشهر، المشاركة في لقاء إعلام علنيّ عن فرق السيدة، في رعيّة بعيدة عن منزلنا.

في العام ٢٠٢١، نجحنا أخيرًا بالانضمام إلى فرقة ملتزمة بالحركة منذ ثلاثين سنة، بعد متابعة فترة مرافقة سريعة من قِبل زوج الإعلام في فرق السيدة.

على الصعيد الشخصي، كنا ما زلنا متأثرين بما حصل في رعيتنا.

منذ انتمائنا إلى فرق السيدة، وأثناء اجتماعاتنا في هذه الفرقة، تشاركنا بصعوباتنا وسوء الفهم في ما يتعلّق بمشكلتنا في الرعيّة، لم يتوانَ أعضاء الفرقة عن تذكيرنا بمفهوم المسامحة والمحبّة، وحفَّزونا لنكون رُسل سلام وذلك ببناء مسيرة شخصية.

ذكّرنا المستشار الروحي للفرقة، أنّه ربّما كان الوقت الضروري لنعتني بعائلتنا، بحياتنا الزوجية، والعمل والتركيز على الروحانيّة الزوجية بدل الخدمة في الرعيّة. يومًا بعد يوم، استطعنا أن نجد الشعور بالسلام الداخلي الذي فقدناه منذ وقت.

في تشرين الثاني ٢٠٢٣، أثناء تحضيرنا لفترة عيد الميلاد، تشاركنا في الإجتماع الشهريّ مع أعضاء الفرقة، أننا أصبحنا جاهزين لنرمي وراءنا هذه المرحلة الصعبة، والتركيز على نعمة الوقت الحاضر، والسير نحو نعمة الإستسلام من أجل إيجاد السلام الداخلي.

ساعدتنا فرقتنا كثيرًا وساندتنا في قرارنا بالعودة من جديد إلى رعيتنا، حيث ننتمي. بالنسبة إلينا، كان ميلاد ٢٠٢٣ وقت نعمة ووقت ثمين للعودة إلى منزل إلهنا الآب.

نشعر الآن بحريّة أكبر وبسلام، وهذا بفضل دعم أعضاء فرقتنا المباركين والحكماء.

منذ التزامنا في فرق السيدة، كان الأعضاء يشجّعونا دومًا على المسامحة وعلى قبول ضعفنا. أدركنا بشكل أفضل إيماننا المسيحيّ، وعُدنا من جديد إلى حضن الكنيسة التي تعطينا الأمان والسلام.

على مثال تلميذي عمّاوس، أعيُننا المغلقة قد انفتحَت، وعُدنا إلى "أورشليم" من خلال الجماعة، بحثًا عن الصلاة والدعم الروحي.

اليوم، نشعر بداخلنا بإيمان أعمق مرتكز على حبّ ربّنا يسوع المسيح القائم من الموت.

إيلين وروكز

صلاة

(نتوجّه بها إلى والديّ القديسة تريزيا من ليزيو، لويس وزيلي مارتان، اللذين عاشا الرسالة بملئها في زواجهما، في عائلتهما والكنيسة)

"لويس وزيلي مارتان، أنتما اللذان في حياتكما كزوجين وكوالدين، قدَّمتما شهادة عن حياة مسيحيَّة مثاليَّة، وذلك بممارسة واجباتكما في كلّ الظروف، وعيش الفضائل الإنجيليَّة، نحن نتوجَّه نحوكما اليوم.

ليكن مِثال ثقتكما بالله التي لا تتزعزع، واستسلامكما الثابت لمشيئته، من خلال الأفراح لكن أيضًا المِحَن، الحزن والآلام التي علّمت حياتكما، عاملاً لتشجيعنا على المثابرة في صعوباتنا اليوميَّة والرسوخ في الفرح والرجاء المسيحيين.

تشفّعا من أجلنا عند الآب لكي نحصل على النِعَم التي نحن بأمسّ الحاجة إليها اليوم في حياتنا على هذه الأرض، لنبلغ على مثالكما إلى السعادة الأبديَّة. آمين " (المصدر : site-catholique.fr)

أسئلة للمشاركة بين الزوجين

١- هل نحن جاهزان للخروج من مناطق الراحة خاصتنا، لننطلق نحو الآخرين بغيرةٍ رسوليَّة؟ على مثال بريسيلا وأكيلا؟

٢- ما هي القناعات الجديدة التي تلقيناها من قراءتنا لهذا الفصل؟

أسئلة للمشاركة في اجتماع الفرقة

١- بصفتنا زوجين، هل نحن مُدركين لأخطار الإنعزال والإكتفاء الذاتيّ؟ هل نحن مُستعدين للإنفتاح على ديناميَّة مشاركة عميقة مع الأعضاء الآخرين في فرقتنا؟ ما هي مخاوفنا على هذا الصعيد؟

٢- يمكننا أن نتشارك فيما بيننا بخبرات، حتى لو كانت متواضعة، استطعنا أن نعيش فيها "حياةً إفخارستيَّة"، خبرة رسوليَّة في التبادليَّة. (على مستوى العائلة، الرعيَّة ومحيطنا...)

Équipes Notre-Dame
Secrétariat International
49, rue de la Glacière - 7ème étage - 75013
Paris - France
contact@equipes-notre-dame.com
www.equipes-notre-dame.com